مجلة شهرية

Issue No: 223 عدد:

Janyary 2026 شهر كانون الثاني

نـــــــور يسوع المسيح المسيـــــح

ΧΡΙΣΤΟΥ الله ΙΗΣΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

ΙΕΡΑ ΜΟΝΗ ΑΓΙΑΣ ΤΡΙΑΔΟΣ

دير الثالوث القدوس، ميتاورا - اليونان

كلمة صاحب الغبطة
بطريرك المدينة المقدسة
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بمناسبة ميلاد ربِّنا وإلهنا
ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد

٢٥ - ١٢ - ٢٠٢٣ ش ، الواقع في : ٧ - ١ - ٢٠٢٤غ

«إِنَّنِي أُشَاهِدُ سِرًّا غَرِيبًا بَاهِرًا، المَغَارَةَ سَمَاءً وَالْعَذْرَاءَ عَرْشًا شارُوبِيمِيًّا والمِذْوَدَ مَحَلًّا شَرِيفًا أُضْجِعَ فِيه المَسِيحُ الإِلَه غَيْرُ الْمَوْسُوعِ فِي مَكَانٍ، فَلْنُسبِحْهُ مُعَظِّمِينَ.»

(ارمس الأودية التاسعة من قانون الميلاد)

حقًّا لقد رأتِ البشريَّةُ عندَ نهايةِ الأزمنةِ سِرًّا غريبًا باهرًا كما يقولُ مُرنمُ الكنيسة، في عهدِ **أوكتاڤيوس أغسطس قيصر**، إذ عاينت تنازُلَ **اللهِ** جَليًّا في بيتَ لحمَ، لقد حقَّقَ **اللهُ** وعودَهُ **للأنبياءِ** إذْ «أرسلَ فداءً لشعبِه». ولهذا الفداءُ هوَ: **ابنُ اللهِ الوحيدِ وكلمتُهُ المساوي للآبِ في الجوهرِ**. لهذا فإنَّ **الآبَ** سُرَّ بأنْ يتجَسَّدَ **الابنُ** وأنْ **يأخذَ جسدًا وصورةً بشريَّةً حيَّةً وعاقِلَةً من الرُّوحِ القُدُسِ** ومنَ **الدائمةِ البتوليَّةِ مريم**، كما أَعَدَّ مُسبقًا وشاءَ وارتضى، ويقولُ الإنجيليُّ يوحنا: «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا» (يو ١: ١٤)، «لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ.» (فيلبي٢:٧) **من أجلنا**. ولقدْ وُلِدَ في المَغارةِ مُتنكِّرًا واقتَبلَ الفقرَ الأقصى، مولودًا في مغارةٍ، مُضْجَعًا في مِذْودٍ، مُدْرَجًا في الأقمطةِ وفي هذا الفقرِ ظَهرَ غِنى لاهوتِهِ مُتَلألِئًا. لهذا فإنَّ السَّماءَ قدَّمتْ لهُ المجوسَ بواسِطةِ النَّجمِ كبَاكورةِ الأُممِ؛ (وسَابقي الكنيسةِ) بحسبِ **القديسِ يوحنا الذهبيِّ الفمِّ**. وملاكٌ مِنَ السَّماءِ أعلنَ مَولدَهُ للرُّعاةِ السَّاهرينَ، وجُمهورُ الملائكةِ بشَّرُوا بهِ منَ السَّماءِ بالتسبيحِ: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَفِي الناس الْمَسَرَّةُ» (لو ٢ : ١٤)، معلنينَ بأنَّ مسرَّةَ اللهِ للبشرِ هي السَلامُ. هذا السَلامُ الإلهيُّ الذي يَفوقُ فَهْمَ العَقلِ يأتي إلى العالمِ **بكلمةِ اللهِ المتجسدِ، يسوعَ المسيحِ**؛ إنَّهُ «**رسولُ الرأيِ العظيمِ ورئيسُ السلامِ وشَمسُ البِرِّ**».

إنَّ الكَنيسةَ مُؤَسَّسَةٌ على هذا الاعلانِ الالهيِّ بشهادةِ شهودِ العيونِ والآذانِ في الكتبِ المقدسةِ، تُؤمنُ وتُبَشِّرُ أعضاءَها في العَالمِ أَجْمع، بأنَّ **المسيحَ** هوَ المُخَلِّصُ وفادي **الجنسِ البشريِّ**، **لا كإنسانٍ مُؤَلَّهٍ بلْ كإلهٍ** مُتأنِّسٍ، لأجلِ الخلاصِ أي تَأْلِيهِ الإنسانِ (بالنعمة). لقد انحدرَ **اللهُ** إلى الأرضِ ليرفعَ الإنسانَ إلى السَّماءِ. «فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ» (فيلبي ٣: ٢٠) بحسبِ **بولس الرسول** الذي اختُطِفَ إلى السَّماواتِ. إنَّ آباءَ الكنيسةِ يَقولونَ دائمًا وبدونِ توقُّفٍ بأنَّهُ تأنَّسَ **الإلهُ** لكيْ يتألَّهَ الإنسانُ (بالنعمة). وأمَّا **القديسُ غريغوريوس بالاماس** يُكرزُ بأنَّهُ تَمجَّدَ الجسدُ عِندما أَخذَهُ **المسيحُ**، ومَجدُ الألوهيَّةِ يُصبِحُ مجدَ الجَسَدِ. وبتأنُّسِهِ وصلبِهِ وقيامتِهِ منْ بينِ الأمواتِ وصعودِهِ، جَلسَ **المسيحُ** كإلهٍ وإنسانٍ، عنْ يمينِ **الآبِ** مَع طبيعَتِهِ البشريَّةِ التي أَخذها، أي «جسدِهِ» بحسبِ الآباءِ، وصَنعَ طريقَ التألُّهِ لكلِّ المؤمنينَ بِهِ.

وقُبَيْل صعودِ المتأنِّسِ **ربِّنا يسوعَ المسيحِ** والمصلوبِ بالجَسَدِ والقائمِ من بينِ الأمواتِ إلى السَّماواتِ، أوصَى تلاميذه الرُّسل القدِّيسين قائلًا: « فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ». (مت ٢٨: ١٩-٢٠)، وهذا ما تُتَمِّمُهُ الكَنيسةُ من خلال التلاميذ الرُّسل القدِّيسين، وخلفائِهِم رؤساءُ الكهنةِ والكهنةِ والرَّعيَّةِ المسيحيَّةِ، لكي تُنجِز هذه الوصيَّة حتى المجيء الثاني، وذلك من خلال مفاعيل **الرُّوح القُدس** المستقرِّ بجسد **المسيح** السِّرِّي (الكنيسة). «وَأَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ.» (يو١٤: ٢٦). أي التعليمَ والمُصالحةَ وتَقديسَ النّاسِ، وعودتهم إلى الملكوت، حتّى يَعُمَّ ويسودَ على الأرضِ ما سُمِعَ في الليلةِ الأولى من ميلادِهِ: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَفِي الناس الْمَسَرَّةُ» (لو٢: ١٤)

إنَّ الكَنيسةَ في كلِّ مَكانٍ في الأرضِ وبخاصةٍ **كنيسةُ أورشليم المباركةُ** تُكرزُ بهذا القولِ وتقومُ بهذا العملِ طَاعةً لمؤسِّسها، وإذْ تَخدُمُ في أماكِنِ ظُهورِهِ بالجسدِ، وأولُها **مَدينةُ بيتَ لحم**. في كنيسةِ المهدِ القسطنطينيةِ الملوكيَّةِ، وفي هَذهِ المَغارةِ البسيطةِ المتواضعةِ القَابلةِ للإلهِ ستحتَفِلُ هَذهِ السَنةَ أيضًا أمُّ الكنائسِ مبتدئةً بأورشليم، محافظةً على تقليدِها العريقِ

منذُ أيامِ **الزائرةِ الحاجةِ إيچيريا** وسَلَفِنا **السعيدِ الذكرِ البطريرك صفرونيوس**. وتَحتَفِلُ أيضًا هذهِ السَنةَ أمُّ الكنائسِ بِبَساطَةٍ وتواضُعٍ بدونِ مَظاهرِ الاحتفالِ، لأنَّ رَاحِيلَ أُخْرَى تَبْكِي، على ضَحَايا الحربِ المُدَمرةِ في غَزةَ وفي المَنَاطِقِ الشَاسعةِ، وتُنَاشِدُ الكَنيسةُ حُكَّامَ العَالمِ الذينَ لَديهِم القُوَّةُ والمَقدِرَةُ لِوقفِ الأعمَالِ الحربيَّةِ العدائيَّةِ منْ أجلِ حِمايةِ كُلِّ نَفْسٍ بَشريّةٍ؛ لأنَّها صورةُ اللهِ.

وإذْ ممْتَلئينَ بِفَرحِ ميلادِ **المسيحِ نَتَقَدَّمُ بِبركاتِنا وأدعيَتِنا البطريركيةِ والأبويّةِ** إلى: «كلِّ منْ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ» (١يو٤:٢)، وإلى زوَّارِنا الأتقياءِ وبالأخصِّ رعيتُنا التقيَّةِ في غَزَّةَ ومع صلواتِنا لكيْ يبقى **القديسُ بورفيريوس أُسقف غَزَّة** حَاميًا للرَعيَّةِ ولكلِّ مَنْ هُم **في ضيقٍ ورُزءٍ شَديدٍ بِسببِ الحربِ المشْتعلةِ**.

هَذِهِ الْحَرْبُ الَّتِي ارْتَقَى ضَحِيتَهَا الْآلَافُ مِنَ الْمَدَنِيِّينَ، غَالِبِيتُهُم مِنَ الأَطْفَالِ وَالنِّسَاءِ، وَدُمِّرَتْ خِلَالَهَا أَحْيَاءٌ سَكَنِيَّةٌ بِرُمَّتِهَا، وَمَدَارِسُ وَمُسْتَشْفَيَاتٌ ودورُ عبادةٍ وَمَرَاكِزُ ثَقَافِيَّةٍ وَآثَارٌ تَارِيخِيَّةٌ، لِتَكُونَ شَاهِدًا عَلَى مَدَى الشَّرِّ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ بِهِ الإِنسَانُ الظَّالِمُ. فَنَرْفَعُ دَعَوَاتِنَا لِرَبِّنَا الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارِكِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ ملك السَّلاَمِ، لِيَرْفَعَ الظُّلْمَ وَالْعَذَابَ عَنْ أَهْلِنَا فِي غَزَّةَ، وَيُمْنِحَهُمُ الأَمَانَ وَالسَّلاَمَ وَالطُّمَأْنِينَةَ، لِأَنَّنَا نَتَوَجَّعُ لِوَجْعِهِمْ، وَنَتَأَلَّمُ لآلامِهِم، وَمِنْ هَذَا الْمَنْطِقِ أَتَتْ دَعْوَتُنَا لِاقْتِصَارِ أَعيادِ الْمِيلَادِ عَلَى الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ فَقَطْ، فِي رِسَالَةٍ وَحْدَةٍ وَتَكَاتُفٍ، لَيْسَتْ فَقَطْ لِأَهْلِنَا وَإِخْوَانِنَا وَأَخَوَاتِنَا الْمُعَذَّبِينَ فِي غَزَّةَ بَلْ أَيْضًا رِسَالَةٍ إِلَى شعوب الْعَالَمِ، بِأَنَّنَا شَعْبٌ وَاحِدٌ يَعِيشُ نَفْسَ الأَلَامِ وَالآمَالِ.

تُبارِكُ كنيسةُ أورشليمَ رَعِيَّتَهَا في الأرضِ الْمقدَّسَةِ، مُتضرعينَ إلى العليّ القديرِ أن يمنحَكم جميعًا العمرَ المديدَ ليحصد شعبُنا ثمرةَ نضال طويلٍ للوصولِ إلى دولةٍ فلسطينيةٍ حُرَّةٍ مستقلة.

في مدينةِ بيتَ لحمَ المقدَّسَةِ عيدُ الميلادِ المجيدِ ٢٠٢٣

مَعَ أَدْعِيَتِنَا وَبَرَكَاتِنَا الأُبُوِيَّةِ
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

المسيحُ وُلِدَ فَمَجِّدوه!

للقديس يوحنا الذهبي الفم

«المسيحُ وُلِدَ فَمَجِّدوه!»

هكذا تُعْلِنُ التَّسْبِيحَةُ الأُرْثُوذُكْسِيَّةُ لِعِيدِ الْمِيلَادِ إِعْلَانًا احْتِفَالِيًّا ظَافِرًا، وَفِي الْوَقْتِ عَيْنِهِ تَضَعُ لَاهُوتِيًّا السِّرَّ الْعَظِيمَ، سِرَّ التَّأَنُّسِ الإِلَهِيِّ.

(το μέγα μυστήριο της θείας ενανθρωπήσεως) (وتُنطق: تو ميغا ميستيريون تيس ثِيَاس إينانثْرُوبِيسِيُوس) (القديس يوحنا الذهبي الفم يشدِّد على **تأنُّس الله الكلمة** ، وليس فقط التجسُّد – المترجم.)

مُنْذُ أَنْ عَصَى أَجْدَادُنَا، آدَمُ وَحَوَّاءُ، وَصِيَّةَ اللهِ، وَطُرِدُوا مِنَ الْفِرْدَوْسِ، «**قَامَتِ الْخَطِيئَةُ كَحَاجِزِ عَدَاوَةٍ فَاصِلٍ بَيْنَ اللهِ وَالإِنْسَانِ**»، كَمَا يَكْتُبُ فِي تَعْلِيمِهِ الْمُقَدَّسِ **الْقِدِّيسُ نِكْتَارِيُوسُ** أُسْقُفُ الْمُدُنِ الْخَمْسِ لَاحِقًا؛ فَكَانَتِ النَّتِيجَةُ **الانْفِصَالَ الْمُدَمِّرَ** لِلإِنْسَانِ عَنِ اللهِ الْمُحِبِّ لِلْبَشَرِ، **وَخُضُوعَهُ الْحَتْمِيَّ لِلْمُشْتَكِي الشَّيْطَانِ، وَلِلْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ.**

وَهٰكَذَا، قَبْلَ حُضُورِ **الْمَسِيحِ** (أَيْ ظُهُورِهِ الْخَلَاصِيِّ فِي الْجَسَدِ، بِتَأَنُّسِهِ) – كَمَا يَقُولُ الْقِدِّيسُ يُوحَنَّا الذَّهَبِيُّ الْفَمِ – **كَانَ الشَّيْطَانُ يَخْدَعُ، وَكَانَتِ الْخَطِيئَةُ تَنْحَرُ وَتَذْبَحُ، أَمَّا الْمَوْتُ فَكَانَ يَدْفِنُ.**

لَمْ يَبْقَ رَجَاءٌ آخَرُ سِوَى مَحَبَّةِ اللهِ الإِلَهِيَّةِ الَّتِي لَا يُنْطَقُ بِهَا. «وَهٰكَذَا فَإِنَّ: «ٱبْنَ ٱلْآبِ، ٱلْقُدُّوسَ كُلِّيَّ ٱلْقَدَاسَةِ، إِذْ هُوَ صُورَةُ ٱلْآبِ، أَتَى إِلَى مَوَاضِعِنَا، لِكَيْ يُجَدِّدَ ٱلْإِنْسَانَ ٱلْمَصْنُوعَ عَلَى صُورَتِهِ» (**القدّيسُ أثناسيوسُ الكبير**).

«وَلِهٰذَا تَفْرَحُ الْمَسْكُونَةُ كُلُّهَا، وَتُعَيِّدُ الْكَنِيسَةُ بِتَهْلِيلٍ. وقد سَمَّى **الْقِدِّيسُ يُوحَنَّا الذَّهَبِيُّ الْفَمِ** عِيدَ الْمِيلَادِ «**أُمَّ الْأَعْيَادِ كُلِّهَا**». وَعَلَى هٰذَا الْأَسَاسِ يَخْفِقُ قَلْبُ الْبَشَرِيَّةِ بِالرَّجَاءِ الْآنَ، لأَنَّ ''اللهَ قَدْ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ، مُخَلِّصَ نُفُوسِنَا''.»

إِنَّ عِظَةَ **الْقِدِّيسِ يُوحَنَّا الذَّهَبِيِّ الْفَمِ** «**فِي مِيلَادِ مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ**»، الَّتِي يَرِدُ الْقِسْمُ الْأَكْبَرُ مِنْهَا هُنَا بِصِيغَةِ إِعَادَةِ صِيَاغَةٍ حُرَّةٍ بِاللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، **قَدْ نُطِقَتْ أَصْلًا بِلُغَةٍ يُونَانِيَّةٍ بَلَاغِيَّةٍ رَفِيعَةٍ**، تَعُودُ إِلَى تَقْلِيدِ اللُّغَةِ الْكَنَسِيَّةِ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ.

وَقَدْ أُلْقِيَتْ فِي أَنْطَاكِيَةَ، فِي أَحَدِ أَعْيَادِ الْمِيلَادِ، خِلَالَ الْعَقْدِ قَبْلَ الْأَخِيرِ مِنَ **الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْمِيلَادِيِّ**. وَمَوْضُوعُ هٰذِهِ الْعِظَةِ هُوَ: سِرُّ تَجَسُّدِ كَلِمَةِ اللهِ، وَتَفْسِيرُ التَّدْبِيرِ الإِلَهِيِّ فِي عَظَمَتِهِ الْفَائِقَةِ. فَإِذْ يُقَارِنُ **الْأَبُ الْقِدِّيسُ** بَيْنَ أَحْدَاثِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ، يَسْتَبِينُ الإِعْلَانَاتِ الْمُسْبَقَةَ لِلتَّأَنُّسِ الإِلَهِيِّ، الَّتِي؛ مَعَ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَعْلَمُونَ بِهَا؛ **لَمْ يَقْبَلُوهَا.** وَهٰكَذَا **يُدَانُ** هٰؤُلَاءِ، وَمَعَهُمْ بِالتَّبَعِيَّةِ جَمِيعُ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُشَكِّكِينَ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ، **عَلَى نُكْرَانِهِمْ**: لِلْجَمِيلِ تُجَاهَ رَبِّنَا الْمُحْسِنِ.

إِنَّ **كَلَامَ الذَّهَبِيِّ الْفَمِ الْمُقَدَّسِ**، بِمَا فِيهِ مِنْ أُسْلُوبٍ احْتِفَالِيٍّ مُفْعَمٍ بِالْحَمَاسَةِ، وَتَثْبِيتٍ كِتَابِيٍّ مَنْهَجِيٍّ رَاسِخٍ، وَغِنَى الْحُجَجِ، وَوُضُوحٍ لَاهُوتِيٍّ، يُمْتِعُ وَيُقْنِعُ، وَيُلْهِمُ وَيَأْخُذُ بِالْأَلْبَابِ...

وَمَعَ هٰذَا الْآبِ الْمُقَدَّسِ رَفِيقًا فِي الْمَسِيرِ، وَبِكَلِمَاتِهِ الذَّهَبِيَّةِ نُورًا لَنَا، لِنَمْضِ إِذًا حَتَّى «الْمَغَارَةِ الْمُسْتَقْبِلَةِ اللهَ»، وَلْنَسْجُدْ لِـ«الْمُقَمَّطِ بِالْأَقْمِطَةِ» لِأَجْلِ خَلَاصِنَا، «**الرَّبِّ الإِلٰهِ الإِنْسَانِ**» (ذِي الطَّبِيعَتَيْنِ: الإِلٰهِيَّةِ وَالنَّاسُوتِيَّةِ).

المسيحُ وُلِدَ فَمَجِّدوه.

إِنَّنِي أُشَاهِدُ سِرًّا عَجِيبًا مُسْتَغْرَبًا أصواتُ الرُّعاةِ تَصِلُ إلى سَمْعي، فَلْيَسْمُوا اليومَ يَعزفونَ على مَزاميرِهم نَغمةً عابرة، بَل شِفاهُهُم تُنشِدُ تَسبيحًا سَماويًّا؛ **الملائكةُ** يُسَبِّحون، **وَرُؤَسَاءُ الملائكةِ** يُرَنِّمون، **والشاروبيمُ** يُنَشِّدون، **والسيرافيمُ** يُمَجِّدون. يَحتفلُ الجميعُ فرحًا، إذ يرونَ **اللهَ** على الأرضِ، **والإنسانَ** في السَماواتِ.

ٱلْيَوْمَ تَشَبَّهَتْ بَيْتُ لَحْمٍ بِٱلسَّمَاءِ: فَبَدَلَ ٱلنُّجُومِ ٱسْتَقْبَلَتِ ٱلْمَلَائِكَةَ، وَبَدَلَ ٱلشَّمْسِ ٱسْتَقْبَلَتْ شَمْسَ ٱلْبِرِّ. فَلَا تَسْأَلْ كَيْفَ حَدَثَ ذٰلِكَ، «لِأَنَّهُ حَيْثُمَا شَاءَ ٱللهُ، تُغْلَبُ طَبِيعَةُ ٱلْأُمُورِ وَنِظَامُهَا».

إِذًا هُوَ قَدْ شَاءَ ذٰلِكَ، وَفَعَلَهُ. نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ **وَخَلَّصَ الإِنْسَانَ**، وَتَكَاتَفَتْ كُلُّ الْأُمُورِ مَعَهُ لِأَجْلِ هٰذَا الْهَدَفِ.

ٱلْيَوْمَ يُولَدُ ٱلَّذِي هُوَ **كَائِنٌ أَزَلِيًّا**، وَيَصِيرُ مَا لَمْ يَكُنْ قَطُّ. هُوَ إِلٰهٌ فَيَصِيرُ إِنْسَانًا، وَيَصِيرُ إِنْسَانًا، وَمَعَ ذٰلِكَ يَبْقَى إِلٰهًا.

وَحِينَ وُلِدَ، لَمْ يَقْبَلِ **الْيَهُودُ** مِيلَادَهُ ٱلْعَجِيبَ ٱلْمُسْتَغْرَبَ. فَمِنْ جِهَةٍ كَانَ **ٱلْفَرِّيسِيُّونَ وَٱلْكَتَبَةُ يُسِيئُونَ** تَفْسِيرَ ٱلْكُتُبِ ٱلْمُقَدَّسَةِ، فَيَعْرِفُونَ ٱلنُّبُوءَاتِ بَعْضَ ٱلْمَعْرِفَةِ، لَكِنَّهُمْ يَرْفُضُونَ إِتْمَامَهَا فِي **ٱلْمَسِيحِ**، وَمِنْ

جِهَةٍ أُخْرَى كَانَ بَعْضُهُمْ يُعَلِّمُونَ مَا لَا يَتَّفِقُ مَعَ ٱلْحَقِّ. أَمَّا **هِيرُودُسُ** فَكَانَ يَطْلُبُ ٱلطِّفْلَ ٱلْمَوْلُودَ، لَا لِيُكْرِمَهُ، بَلْ **لِيَقْتُلَهُ**.

فَهَا إِنَّ جَمِيعَ هٰؤُلَاءِ، مِنَ **ٱلْفَرِّيسِيِّينَ وَٱلْكَتَبَةِ وَسَائِرِ ٱلرَّافِضِينَ**، ٱلْيَوْمَ **يَفْرُكُونَ** أَعْيُنَهُمْ دَهْشَةً، إِذْ يَرَوْنَ مَلِكَ ٱلسَّمَاوَاتِ حَاضِرًا عَلَى ٱلْأَرْضِ، بِجَسَدٍ بَشَرِيٍّ، مَوْلُودًا مِنْ رَحِمٍ بَتُولِيٍّ.

وجاءَ المُلُوكُ لِيَسْجُدُوا لِمَلِكِ الْمَجْدِ السَّمَاوِيِّ.

وجاءَ الْجُنُودُ لِيَخْدِمُوا قَائِدَ جُنُودِ الْقُوَّاتِ السَّمَاوِيَّةِ.

وجاءتِ النِّساءُ لِيَسْجُدْنَ لِمَنْ حَوَّلَ أَحْزَانَ الْمَرْأَةِ إِلَى فَرَحٍ.

وَجَاءَتِ ٱلْعَذَارَى لِيَسْجُدْنَ لِمَنْ خَلَقَ ٱلثَّدْيَيْنِ وَٱللَّبَنَ، وَهُوَ الآنَ يَرْتَضِعُ مِنْ أُمٍّ عَذْرَاءَ.

وَجَاءَ الرُّضَّعُ لِيَسْجُدُوا لِمَنْ صَارَ رَضِيعًا، لِكَيْ يُقَامَ لَهُ تَسْبِيحٌ: «مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ هَيَّأْتَ لَكَ تَسْبِيحًا».

وَجَاءَ الْغِلْمَانُ لِيَسْجُدُوا لِمَنْ جَعَلَتْهُمْ **هَوَسِيَّةُ وَجُنُونُ هِيرُودُسَ** أَوَّلَ الشُّهَدَاءِ.

وَجَاءَ ٱلرِّجَالُ (ٱلرُّعَاةُ وَٱلْمَجُوسُ) لِيَسْجُدُوا لِمَنْ صَارَ إِنْسَانًا لِيُخَلِّصَ ٱلنَّاسَ مِنْ مِحَنِهِمْ.

وَجَاءَ ٱلرُّعَاةُ لِيَسْجُدُوا لِلرَّاعِي ٱلصَّالِحِ، ٱلَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِ ٱلْخِرَافِ. (راجع: يوحنا ١٠: ١١).

وَجَاءَ ٱلْكَهَنَةُ لِيَسْجُدُوا لِمَنْ صَارَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ «عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِيصَادِقَ». (راجع: عبرانيين ٥: ٦).

وَجَاءَ ٱلْعَبِيدُ لِيَسْجُدُوا لِمَنْ أَخَذَ صُورَةَ عَبْدٍ، لِيُحَوِّلَ عُبُودِيَّتَنَا إِلَى حُرِّيَّةٍ. (راجع: فيلبي ٢: ٧).

وَجَاءَ صَيَّادُو الأَسْمَاكِ لِيَسْجُدُوا لِمَنْ حَوَّلَهُمْ إِلَى «صَيَّادِي ٱلنَّاسِ». (راجع: متّى ٤: ١٩).

وَجَاءَ ٱلْعَشَّارُونَ لِيَسْجُدُوا لِمَنْ أَخْرَجَ مِنَ ٱلْعَشَّارِينَ مُبَشِّرًا بِٱلْإِنْجِيلِ. (راجع: متّى ٩: ٩).

وَجَاءَتِ الزَّانِيَاتُ لِيَسْجُدْنَ لِمَنْ سَلَّمَ قَدَمَيْهِ لِدُمُوعِ ٱمْرَأَةٍ زَانِيَةٍ.

وَبِٱخْتِصَارٍ، جَاءَ **جَمِيعُ ٱلْخُطَاةِ** لِيَرَوْا **حَمَلَ ٱللهِ**، ٱلَّذِي يَحْمِلُ عَلَى كَتِفَيْهِ «**خَطَايَا ٱلْعَالَمِ**»، وَمِنْهُمْ:

ٱلْمَجُوسُ لِيَسْجُدُوا لَهُ.

وَٱلرُّعَاةُ لِيُمَجِّدُوهُ.

وَٱلْعَشَّارُونَ لِيَكْرِزُوا بِهِ.

وَٱلزَّانِيَاتُ لِيُقَدِّمْنَ لَهُ ٱلأَطْيَابَ.

وَٱلسَّامِرِيَّةُ لِتَنْهَلَ (مِنَ ٱلْيَنْبُوعِ ٱلْحَيِّ، مِنْ نِعْمَةِ ٱلرُّوحِ.)

وَٱلْكَنْعَانِيَّةُ لِتَنَالَ ٱلإِحْسَانَ.

فَإِذْ إِنَّ ٱلْجَمِيعَ يَثِبُونَ فَرَحًا، أُرِيدُ أَنَا أَيْضًا أَنْ أَثِبَ، أُرِيدُ أَنْ أَرْقُصَ، أُرِيدُ أَنْ أَحْتَفِلَ. لَا بِقِيثَارَةٍ، وَلَا بِنَايٍ، وَلَا بِشُمُوعٍ مُوقَدَةٍ فِي يَدَيَّ، بَلْ أَحْتَفِلُ وَأَنَا أَحْمِلُ، بَدَلَ ذٰلِكَ، أَقْمِطَةَ ٱلْمَسِيحِ. هٰذَا هُوَ رَجَائِي، وَهٰذِهِ هِيَ حَيَاتِي، وَهٰذَا هُوَ خَلَاصِي، وَهٰذَا هُوَ نَايِي، وَهٰذِهِ هِيَ قِيثَارَتِي وَنَغْمَتِي. لِذٰلِكَ أَحْمِلُهَا مَعِي، لِكَيْ أَسْتَمِدَّ مِنْ قُوَّتِهَا قُوَّةً، وَلِكَيْ أُهْتِفَ مَعَ ٱلْمَلَائِكَةِ: «ٱلْمَجْدُ للهِ فِي ٱلأَعَالِي»، وَمَعَ ٱلرُّعَاةِ: «وَعَلَى ٱلأَرْضِ ٱلسَّلَامُ، وَفِي ٱلنَّاسِ ٱلْمَسَرَّةُ» (لوقا ٢: ١٤).

وَتَعْلَمُونَ لِمَاذَا؟ لِأَنَّ ٱلَّذِي وُلِدَ قَبْلَ ٱلدُّهُورِ مِنَ **ٱلآبِ** وِلَادَةً لَا تُدْرَكُ وَلَا تُفَسَّرُ، يُولَدُ ٱلْيَوْمَ مِنْ **عَذْرَاءَ** وِلَادَةً فَوْقَ ٱلطَّبِيعَةِ. أَمَّا كَيْفَ تَمَّ ذٰلِكَ فَتَعْلَمُهُ **نِعْمَةُ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ**. وَأَمَّا نَحْنُ فَلَا نَمْلِكُ إِلَّا أَنْ نَقُولَ هٰذَا ٱلْأَمْرَ ٱلْوَاحِدَ: إِنَّ وِلَادَتَهُ ٱلسَّمَاوِيَّةَ حَقِيقِيَّةٌ، كَمَا أَنَّ وِلَادَتَهُ ٱلْأَرْضِيَّةَ هِيَ أَيْضًا حَقِيقِيَّةٌ لَا يُمْكِنُ إِنْكَارُهَا. حَقًّا إِنَّهُ وُلِدَ إِلٰهًا مِنْ إِلٰهٍ، وَحَقًّا أَيْضًا إِنَّهُ وُلِدَ إِنْسَانًا مِنْ عَذْرَاءَ. فِي ٱلسَّمَاءِ **هُوَ ٱلْوَحِيدُ ٱلَّذِي وُلِدَ مِنَ ٱلآبِ وَحْدَهُ، ٱبْنُهُ ٱلْوَحِيدُ**، وَعَلَى ٱلْأَرْضِ **هُوَ ٱلْوَحِيدُ ٱلَّذِي وُلِدَ مِنَ ٱلْعَذْرَاءِ وَحْدَهَا، ٱبْنُهَا ٱلْوَحِيدُ**. وَكَمَا أَنَّهُ فِي وِلَادَتِهِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ يُعَدُّ **تَجَاسُرًا** وَعَدَمَ تَقْوَى أَنْ نَتَصَوَّرَ أُمًّا، كَذٰلِكَ فِي وِلَادَتِهِ ٱلْأَرْضِيَّةِ يُعَدُّ **تَجْدِيفًا** أَنْ نَفْتَرِضَ أَبًا. **فَٱللهُ وَلَدَهُ وِلَادَةً إِلٰهِيَّةً، وَٱلْعَذْرَاءُ وَلَدَتْهُ وِلَادَةً فَوْقَ ٱلطَّبِيعَةِ.** وَهٰكَذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تُفَسَّرَ وِلَادَتُهُ ٱلسَّمَاوِيَّةُ، وَلَا أَنْ يُسْتَقْصَى سِرُّ تَأَنُّسِهِ. أَمَّا أَنَّ **ٱلْعَذْرَاءَ** وَلَدَتْهُ ٱلْيَوْمَ فَهٰذَا أَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنَّ **ٱللهَ** وَلَدَهُ قَبْلَ ٱلدُّهُورِ فَهٰذَا أُؤْمِنُ بِهِ. وَقَدْ تَعَلَّمْتُ أَنْ أُكْرِمَ سِرَّ وِلَادَتِهِ بِصَمْتٍ وَخُشُوعٍ، مِنْ غَيْرِ فُضُولِ ٱلْبَحْثِ وَلَا عَبَثِ ٱلْجِدَالِ، لِأَنَّهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ **بِٱللهِ** لَا يَجُوزُ أَنْ **نُخْضِعَ ٱلسِّرَّ ٱلْإِلٰهِيَّ لِلْمَنْطِقِ ٱلطَّبِيعِيِّ**، بَلْ أَنْ نُؤْمِنَ بِقُدْرَةِ ذٰلِكَ ٱلَّذِي يُدَبِّرُ ٱلْكُلَّ.

وَمَا أَمْرُ أَكْثَرَ طَبِيعِيَّةً مِنْ أَنْ تَلِدَ ٱمْرَأَةٌ مُتَزَوِّجَةٌ؟ وَلٰكِنْ، مَا أَشَدَّ ٱلْغَرَابَةَ وَٱلْمُفَارَقَةَ فِي أَنْ تَلِدَ **ٱمْرَأَةٌ عَذْرَاءُ** طِفْلًا بِغَيْرِ رَجُلٍ، وَتَبْقَى فِي ٱلْوَقْتِ عَيْنِهِ **عَذْرَاءَ**!

لِذٰلِكَ، نَسْتَطِيعُ أَنْ نَبْحَثَ فِيمَا يَجْرِي وَفْقَ ٱلْقَوَانِينِ ٱلطَّبِيعِيَّةِ؛ أَمَّا مَا يَتِمُّ عَلَى نَحْوٍ فَوْقَ ٱلطَّبِيعَةِ، فَعَلَيْنَا أَنْ نُجِلَّهُ بِصَمْتٍ وَخُشُوعٍ. لَيْسَ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُدْرَكٍ، بَلْ لِأَنَّهُ غَيْرُ قَابِلٍ لِلتَّفْسِيرِ.

أَشْعُرُ بِرَهْبَةٍ أَمَامَ ٱلسِّرِّ ٱلْإِلٰهِيِّ.

«مَاذَا أَقُولُ؟ أَوْ مَاذَا أَتَكَلَّمُ؟»

أَرَى ٱلَّتِي وَلَدَتْ، وَأَرَى أَيْضًا ٱلَّذِي وُلِدَ، أَمَّا كَيْفِيَّةُ ٱلْوِلَادَةِ فَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُدْرِكَهَا. فَحَيْثُ **يَشَاءُ ٱللهُ**، كَمَا تَرَوْنَ، تُغْلَبُ ٱلْقَوَانِينُ ٱلطَّبِيعِيَّةُ. هٰكَذَا حَدَثَ هُنَا أَيْضًا: تَنَحَّى نِظَامُ ٱلطَّبِيعَةِ، وَعَمِلَتِ ٱلْمَشِيئَةُ ٱلْإِلٰهِيَّةُ.

مَا أَعْظَمَ وَمَا أَعْجَزَ ٱلتَّعْبِيرَ عَنْ رَأْفَةِ ٱللهِ!

إِنَّ **ٱبْنَ ٱللهِ ٱلأَزَلِيَّ، ٱلْخَالِدَ**، وَغَيْرَ ٱلْمَرْئِيِّ، وَغَيْرَ ٱلْجِسْمَانِيِّ، قَدْ سَكَنَ فِي جَسَدِنَا **ٱلْفَاسِدِ** ٱلْمَرْئِيِّ. وَلِمَاذَا؟ لِأَنَّنَا –كَمَا تَعْلَمُونَ– نَحْنُ ٱلْبَشَرَ نَمِيلُ إِلَى أَنْ نُصَدِّقَ مَا نَرَاهُ أَكْثَرَ مِمَّا نَسْمَعُهُ. فَبِٱلْمَرْئِيَّاتِ نُؤْمِنُ، وَبِغَيْرِ ٱلْمَرْئِيَّاتِ **نَشُكُّ**. وَهٰكَذَا، **لَمْ نَكُنْ** نُؤْمِنُ بِٱلْإِلٰهِ ٱلْحَقِيقِيِّ غَيْرِ ٱلْمَرْئِيِّ، بَلْ كُنَّا **نَعْبُدُ أَوْثَانًا مَرْئِيَّةً** عَلَى شَاكِلَةِ ٱلْبَشَرِ.

فَقَبِلَ **ٱللهُ**، إِذًا، أَنْ يَتَجَلَّى أَمَامَنَا فِي صُورَةٍ بَشَرِيَّةٍ مَرْئِيَّةٍ، لِيُزِيلَ بِهٰذَا ٱلطَّرِيقِ كُلَّ شَكٍّ فِي وُجُودِهِ. ثُمَّ، بَعْدَ أَنْ يُعَلِّمَنَا بِحُضُورِهِ ٱلْمَحْسُوسِ وَٱلْيَقِينِيِّ، يَقُودَنَا بِسُهُولَةٍ إِلَى **ٱلإِيمَانِ ٱلْحَقِيقِيِّ**: إِلَى مَا هُوَ غَيْرُ مَرْئِيٍّ وَفَوْقَ ٱلطَّبِيعَةِ.

ٱلدَّهْشَةُ تَمْلَأُنِي أَمَامَ هٰذَا ٱلْعَجَبِ!

طِفْلًا أَرَى «قَدِيمَ ٱلْأَيَّامِ»!

فِي ٱلْمَذْوَدِ يَسْتَرِيحُ، ذَاكَ ٱلَّذِي عَرْشُهُ ٱلسَّمَاءُ!

أَيْدٍ بَشَرِيَّةٌ تَلْمِسُ ٱلَّذِي لَا يُدْنَى مِنْهُ، ٱلْغَيْرَ ٱلْجِسْمَانِيِّ!
بِٱلْأَقْمِطَةِ مُقَيَّدٌ، ذَاكَ ٱلَّذِي يَكْسِرُ قُيُودَ ٱلْخَطِيئَةِ!
أَمَّا هٰذَا كُلُّهُ... فَهُوَ بِمَشِيئَتِهِ: لِيُحَوِّلَ ٱلْهَوَانَ إِلَى كَرَامَةٍ، وَيُكْسِيَ ٱلْوَضَاعَةَ مَجْدًا، وَيُحَوِّلَ ٱلْإِهَانَةَ إِلَى فَضِيلَةٍ.
أَخَذَ جَسَدِي، وَمَنَحَنِي رُوحَهُ. يَهَبُنِي كَنْزَ ٱلْحَيَاةِ ٱلْأَبَدِيَّةِ، إِذْ يَأْخُذُ وَيُعْطِي: يَأْخُذُ جَسَدِي لِيُقَدِّسَنِي، وَيُعْطِينِي رُوحَهُ لِيُخَلِّصَنِي.

«هَا هِيَ ٱلْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ» (إشعيا ٧: ١٤).

ٱلْكَلِمَاتُ هِيَ لِلْمَجْمَعِ ٱلْيَهُودِيِّ، أَمَّا ٱلْمُقْتَنَى فَلِلْكَنِيسَةِ.
ٱلْمَجْمَعُ ٱلْيَهُودِيُّ عَثَرَ عَلَى ٱلنُّصُوصِ ٱلْمَكْتُوبَةِ، أَمَّا ٱلْكَنِيسَةُ فَٱكْتَشَفَتِ ٱلْكَنْزَ ٱلْمُخْتَبِئَ فِيهَا.
ٱلْمَجْمَعُ صَبَغَ ٱلْخَيْطَ، وَٱلْكَنِيسَةُ ٱرْتَدَتِ ٱلْحُلَّةَ ٱلْمُلُوكِيَّةَ.
ٱلْيَهُودِيَّةُ وَلَدَتْهُ، وَأَمَّا ٱلْمَسْكُونَةُ فَٱسْتَقْبَلَتْهُ.
ٱلْمَجْمَعُ أَرْضَعَهُ وَغَذَّاهُ، أَمَّا ٱلْكَنِيسَةُ فَقَدْ تَسَلَّمَتْهُ وَٱنْتَفَعَتْ بِهِ.
فِي ٱلْمَجْمَعِ نَبَتَتِ ٱلْكَرْمَةُ، أَمَّا نَحْنُ فَنَتَمَتَّعُ بِعُنْقُودِ حَقِيقَةِ ٱلْحَقِّ.
ٱلْمَجْمَعُ قَطَفَ ٱلْعِنَبَ، أَمَّا الأُمَمُ ، فَيَشْرَبُونَ ٱلشَّرَابَ ٱلسِّرِّيَّ.
هِيَ زَرَعَتِ ٱلْبِذَارَ فِي ٱلْيَهُودِيَّةِ، وَأَمَّا ٱلْأُمَمُ فَحَصَدُوا ٱلسُّنْبُلَ بِمِنْجَلِ ٱلْإِيمَانِ.
هَؤُلَاءِ قَطَفُوا ٱلْوَرْدَةَ بِخُشُوعٍ، وَبَقِيَ لِلْيَهُودِ شَوْكُ عَدَمِ ٱلْإِيمَانِ.
طَارَ ٱلطَّائِرُ، وَهٰؤُلَاءِ ٱلْجُهَّالُ مَا زَالُوا جَالِسِينَ يَحْرُسُونَ ٱلْعُشَّ!
ٱلْيَهُودُ يُجَاهِدُونَ فِي تَفْسِيرِ كِتَابِ ٱلْحَرْفِ، أَمَّا ٱلْأُمَمُ فَيَقْطِفُونَ ثَمَرَةَ ٱلرُّوحِ.

«هَا هِيَ ٱلْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ» (إش ٧: ١٤).

قُلْ لِي **يَا يَهُودِيّ**، قُلْ لِي إِذًا: مَنْ ٱلَّذِي وَلَدَتْهُ؟
أَرْجُوكَ، أَظْهِرْ شَجَاعَةً، وَلَوْ عَلَى ٱلْمِقْدَارِ ٱلَّذِي أَظْهَرَتْهُ أَمَامَ **هِيرُودُسَ**.
وَلٰكِنَّكَ لَا تَمْلِكُ ٱلشَّجَاعَةَ. وَأَنَا أَعْلَمُ ٱلسَّبَبَ: بِسَبَبِ **مَكْرِكَ**. أَمَامَ **هِيرُودُسَ** تَكَلَّمْتَ لِكَيْ **يُهْلِكَهُ**،
أَمَّا أَمَامِي فَلَا تَتَكَلَّمُ، **لِئَلَّا** أَسْجُدَ لَهُ.

فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي وَلَدَتْهُ إِذًا؟. مَنْ؟

إِنَّهُ خَالِقُ ٱلْخَلِيقَةِ نَفْسُهُ. وَإِنْ كُنْتَ أَنْتَ تَصْمُتُ، فَإِنَّ ٱلطَّبِيعَةَ تَصْرُخُ بِهِ صُرَاخًا مُدَوِّيًا. لَقَدْ وَلَدَتْهُ، إِذًا، عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ٱلَّتِي شَاءَ هُوَ أَنْ يُولَدَ بِهَا. فَفِي ٱلطَّبِيعَةِ لَمْ تَكُنْ تَوْجَدُ إِمْكَانِيَّةٌ مِثْلُ هٰذِهِ ٱلْوِلَادَةِ. أَمَّا هُوَ، فَبِمَا أَنَّهُ **سَيِّدُ ٱلطَّبِيعَةِ**، ٱبْتَدَعَ نَفْسَهُ سُبُلَ وِلَادَةٍ عَجِيبَةً فَائِقَةً لِلْمَأْلُوفِ. وَهٰكَذَا أَظْهَرَ أَنَّهُ، وَإِنْ صَارَ إِنْسَانًا، لَمْ يُولَدْ كَسَائِرِ ٱلنَّاسِ، بَلْ كَمَا يَلِيقُ **بِٱللهِ** وَحْدَهُ.

ذَاكَ ٱلَّذِي جَبَلَ آدَمَ مِنْ أَرْضٍ عَذْرَاءَ، وَهُوَ نَفْسُهُ ٱلَّذِي صَنَعَ فِيمَا بَعْدُ ٱمْرَأَةً مِنْ آدَمَ، وُلِدَ ٱلْيَوْمَ مِنْ عَذْرَاءَ بَتُولٍ، قَدْ قَهَرَتِ ٱلطَّبِيعَةَ، وَتَجَاوَزَتْ نَامُوسَ ٱلزَّوَاجِ.
آدَمُ، آنَذَاكَ، وَهُوَ بِغَيْرِ ٱمْرَأَةٍ، نَالَ ٱمْرَأَةً.
وَٱلْبَتُولُ ٱلْيَوْمَ، وَهِيَ بِغَيْرِ رَجُلٍ، وَلَدَتْ رَجُلًا.

وَلِمَاذَا حَدَثَ هٰذَا؟ لِهٰذَا ٱلسَّبَبِ نَفْسِهِ:

إِنَّ ٱلنِّسَاءَ كَانَ عَلَيْهِنَّ دَيْنٌ قَدِيمٌ تُجَاهَ ٱلرِّجَالِ، لِأَنَّهُ مِنْ آدَمَ أُنْبِتَتِ ٱمْرَأَةٌ بِغَيْرِ وَسَاطَةِ ٱمْرَأَةٍ أُخْرَى. فَلِهٰذَا ٱلسَّبَبِ، **ٱلْبَتُولُ ٱلْيَوْمَ**، وَهِيَ تُوَفِّي لِلرِّجَالِ **دَيْنَ حَوَّاءَ**، وَلَدَتْ بِغَيْرِ رَجُلٍ، مُبَيِّنَةً بِذٰلِكَ مُسَاوَاةَ ٱلطَّبِيعَةِ وَتَكَافُؤَهَا.

بَقِيَ **آدَمُ** سَالِمًا بَعْدَ أَخْذِ ضِلْعِهِ.
وَبَقِيَتِ **ٱلْبَتُولُ** أَيْضًا غَيْرَ فَاسِدَةٍ بَعْدَ وِلَادَةِ ٱلطِّفْلِ.
وَلٰكِنِ ٱنْتَبِهْ إِلَى أَمْرٍ آخَرَ أَيْضًا:
لَمْ يَصْنَعِ ٱلرَّبُّ جَسَدًا آخَرَ لِيَظْهَرَ بِهِ عَلَى ٱلْأَرْضِ، بَلِ **ٱتَّخَذَ جَسَدَ ٱلْإِنْسَانِ نَفْسَهُ**، لِكَيْلَا يُظَنَّ أَنَّهُ يَزْدَرِي ٱلْمَادَّةَ ٱلَّتِي خُلِقَ مِنْهَا **آدَمُ**.
وَهٰكَذَا **جَاءَ ٱللهُ ٱلْكَلِمَةُ إِنْسَانًا**، أَيْ تَمَّ ٱللِّقَاءُ ٱلْخَلَاصِيُّ وَٱتِّحَادُ ٱلطَّبِيعَتَيْنِ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ، ٱتِّحَادًا سِرِّيًّا فَائِقًا لِلْعَقْلِ، وَٱنْهَزَمَ **ٱلشَّيْطَانُ** ٱلَّذِي كَانَ قَدِ ٱسْتَعْبَدَ ٱلْإِنْسَانَ، فَفَرَّ هَارِبًا.

ٱللهُ يَصِيرُ إِنْسَانًا، أَمَّا وِلَادَتُهُ فَهِيَ **وِلَادَةٌ إِلٰهِيَّةٌ فَائِقَةٌ لِلطَّبِيعَةِ**. فَلَوْ كَانَ قَدْ أَتَى – **مِثْلِي**– مِنْ زَوَاجٍ عَادِيٍّ، لَحَسِبَ كَثِيرُونَ مِيلَادَهُ **خِدَاعًا**.
لِذٰلِكَ وُلِدَ **مِنْ عَذْرَاءَ**.
وَلِذٰلِكَ حَفِظَ رَحِمَهَا سَالِمًا غَيْرَ مَمْسُوسٍ.
وَلِذٰلِكَ صَانَ بَتُولِيَّتَهَا كَامِلَةً غَيْرَ مَنْقُوصَةٍ، لِكَيْ يَكُونَ ٱلطَّرِيقُ ٱلْعَجِيبُ لِلْوِلَادَةِ سَبَبًا لِإِيمَانٍ ثَابِتٍ لَا يَتَزَعْزَعُ.

فَأَمَّا مَنْ يُشَكِّكُ فِي **وِلَادَةِ كَلِمَةِ ٱللهِ بِغَيْرِ زَرْعٍ**، فَإِنِّي أَسْتَدْعِي شَاهِدًا عَلَيْهَا **خَتْمَ ٱلْبَتُولِيَّةِ ٱلطَّاهِرَ ٱلَّذِي لَا دَنَسَ فِيهِ.**

قُلْ لِي إِذًا، **يَا يَهُودِيّ**: أَوَلَدَتِ ٱلْعَذْرَاءُ **أَمْ لَا**؟ فَإِنْ كَانَتْ قَدْ وَلَدَتْ، فَلِمَاذَا لَا تَعْتَرِفُ **بِٱلْوِلَادَةِ فَوْقَ ٱلطَّبِيعَةِ**؟ وَإِنْ كَانَتْ لَمْ تَلِدْ، فَلِمَاذَا خَدَعَتْ **هِيرُودُسَ**؟إِذْ حِينَ كَانَ يَسْأَلُ: «أَيْنَ يُولَدُ ٱلْمَسِيحُ؟» أَلَمْ تَقُلْ لَهُ: «فِي بَيْتِ لَحْمِ ٱلْيَهُودِيَّةِ»؟ (راجع: متّى ٢: ٤). أَتُرَانِي كُنْتُ أَعْرِفُ ٱلْمَدِينَةَ أَوِ ٱلْمَوْضِعَ؟ أَتُرَانِي كُنْتُ أَعْرِفُ قِيمَةَ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِي أَتَى إِلَى ٱلْعَالَمِ؟ أَلَمْ يَتَكَلَّمْ إِشَعْيَاءُ وَأَنْبِيَاؤُكُمْ عَنْهُ؟ وَأَنْتُمْ، أَيُّهَا ٱلْأَعْدَاءُ ٱلْجُحَّادُ، أَلَمْ تُفَسِّرُوا ٱلْحَقِيقَةَ؟ أَنْتُمْ، أَيُّهَا ٱلْكَتَبَةُ وَٱلْفَرِّيسِيُّونَ، حُرَّاسُ ٱلنَّامُوسِ ٱلدَّقِيقُونَ، أَلَمْ تُعَلِّمُونَا عَنِ **ٱلْمَسِيحِ**؟ أَلَمْ تَكُونُوا أَنْتُمْ مُفَسِّرِي ٱلْكُتُبِ ٱلْمُقَدَّسَةِ؟ أَفَهَلْ كُنَّا نَعْرِفُ نَحْنُ لُغَتَكُمْ؟ وَحِينَ وَلَدَتِ **ٱلْعَذْرَاءُ**، أَلَمْ تُقَدِّمُوا أَنْتُمْ **لِهِيرُودُسَ** شَهَادَةَ **ٱلنَّبِيِّ مِيخَا**؟ «وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمَ، بَيْتَ أَفْرَاتَةَ، لَسْتِ ٱلصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا، لِأَنَّهُ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ»؟ (متّى ٢: ٦).

«أَحْسَنَ ٱلنَّبِيُّ قَوْلًا إِذْ قَالَ: «**مِنْكِ**». فَمِنْكُمْ خَرَجَ، وَمِنْ عِنْدِكُمْ ظَهَرَ، ثُمَّ تَجَلَّى فِي ٱلْمَسْكُونَةِ كُلِّهَا. ظَهَرَ إِنْسَانًا لِيَهْدِيَ ٱلنَّاسَ، وَظَهَرَ إِلٰهًا لِيُخَلِّصَ ٱلْعَالَمَ.

وَلٰكِنْ، مَا أَنْفَعَكُمْ **مِنْ أَعْدَاءٍ!** وَمَا أَرْحَمَكُمْ وَأَنْتُمْ **مُتَّهِمُونَ!**
(وَمَا أَعْجَبَكُمْ مِنْ مُدَّعِينَ، إِذْ صِرْتُمْ – وَأَنْتُمْ لَا تُرِيدُونَ – أَقْوَى شُهُودٍ لِمَحَبَّةِ **ٱللهِ** لِلْإِنْسَانِ!).

أَنْتُمْ، وَبِغَيْرِ قَصْدٍ، أَظْهَرْتُمْ أَنَّ ٱلْمَوْلُودَ فِي بَيْتِ لَحْمَ **هُوَ ٱللهُ**. أَنْتُمْ كَرَّزْتُمْ

بِهِ وَأَنْتُمْ لَا تُرِيدُونَ. أَنْتُمْ أَظْهَرْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تُجَاهِدُونَ لِإِخْفَائِهِ. أَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ إِلَيْهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُؤْذُوهُ. مَا أَغْرَبَكُمْ مِنْ مُعَلِّمِينَ جَهَلَةٍ، حَقًّا! أَنْتُمْ تَجُوعُونَ وَتُطْعِمُونَ غَيْرَكُمْ، أَنْتُمْ تَعْطَشُونَ وَتَسْقُونَ غَيْرَكُمْ، فُقَرَاءُ جِدًّا أَنْتُمْ، وَتُغْنُونَ ٱلْآخَرِينَ.

«هَلُمُّوا إِذًا لِنَعِيدَ. هَلُمُّوا لِنَحْتَفِلَ. إِنَّهُ عِيدٌ عَجِيبٌ فِي طَرِيقَتِهِ، بِمِقْدَارِ مَا هُوَ عَجِيبٌ سَبَبُ وِلَادَةِ ٱلْمَسِيحِ نَفْسِهِ.

ٱلْيَوْمَ ٱنْحَلَّتِ ٱلْقُيُودُ ٱلْقَدِيمَةُ ٱلطَّوِيلَةُ ٱلْأَمَدِ.

ٱلشَّيْطَانُ ٱخْتَزَى.

ٱلشَّيَاطِينُ هَرَبَتْ.

ٱلْمَوْتُ أُبْطِلَ.

ٱلْفِرْدَوْسُ ٱنْفَتَحَ.

ٱللَّعْنَةُ زَالَتْ.

ٱلْخَطِيئَةُ طُرِدَتْ.

ٱلضَّلَالُ ٱنْقَشَعَ.

ٱلْحَقُّ ٱنْكَشَفَ.

كَرَازَةُ التَّقْوَى ٱنْدَفَعَتْ وَٱنْتَشَرَتْ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ غُرِسَ فِي ٱلْأَرْضِ.

ٱلْمَلَائِكَةُ صَارُوا يُكَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ.

وَٱلْجَمِيعُ صَارُوا وَاحِدًا.»

لِمَاذَا؟

لِأَنَّ ٱللهَ قَدْ نَزَلَ إِلَى ٱلْأَرْضِ، وَٱلْإِنْسَانَ قَدْ ٱرْتَفَعَ إِلَى ٱلسَّمَاوَاتِ. نَزَلَ ٱللهُ إِلَى ٱلْأَرْضِ، وَهُوَ فِي ٱلْآنِ عَيْنِهِ فِي ٱلسَّمَاءِ. هُوَ كُلِّيٌّ فِي ٱلسَّمَاءِ، وَكُلِّيٌّ عَلَى ٱلْأَرْضِ. صَارَ إِنْسَانًا وَهُوَ ٱللهُ. وَهُوَ ٱللهُ وَقَدِ ٱتَّخَذَ جَسَدًا. يُحْمَلُ فِي حِضْنِ بَتُولٍ، وَبِيَدَيْهِ يُمْسِكُ ٱلْمَسْكُونَةَ كُلَّهَا.

يُسْرِعُ ٱلْمَجُوسُ نَحْوَهُ، وَنُسْرِعُ نَحْنُ أَيْضًا. وَيَسْعَى ٱلنَّجْمُ هُوَ أَيْضًا لِيُعْلِنَ رَبَّ ٱلسَّمَاءِ. أَمَّا هُوَ فَيُسْرِعُ أَيْضًا... يُسْرِعُ نَحْوَ مِصْرَ. وَيَبْدُو، فِي ٱلظَّاهِرِ، أَنَّهُ يَمْضِي إِلَيْهَا لِيَتَّقِيَ مَكْرَ هِيرُودُسَ. أَمَّا فِي ٱلْحَقِيقَةِ، فَإِنَّ ذٰلِكَ يَتِمُّ لِإِتْمَامِ ٱلْأَقْوَالِ ٱلنَّبَوِيَّةِ: «يَكُونُ فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ إِسْرَائِيلُ ثَالِثًا مَعَ ٱلْأَشُّورِيِّينَ وَٱلْمِصْرِيِّينَ، وَيَكُونُ شَعْبِي مُبَارَكًا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَارَكَهَا رَبُّ ٱلْجُنُودِ» (إشعياء ١٩: ٢٤؛ قارن حيث تُذكر البركة الثلاثية كاملة).

مَاذَا تَقُولُ أَيُّهَا ٱلْيَهُودِيُّ؟ أَأَنْتَ ٱلَّذِي كُنْتَ أَوَّلًا، صِرْتَ ثَالِثًا؟ أَدَخَلَ ٱلْمِصْرِيُّونَ وَٱلْأَشُّورِيُّونَ أَمَامَكَ، وَتَرَاجَعَ إِسْرَائِيلُ ٱلْبِكْرُ إِلَى ٱلْخَلْفِ؟

نَعَمْ، هٰكَذَا هُوَ ٱلْأَمْرُ. ٱلْأَشُّورِيُّونَ سَيَصِيرُونَ أَوَّلِينَ، لِأَنَّهُمْ هُمْ أَوَّلًا، مَعَ مُجُوسِهِمْ، سَجَدُوا لِلرَّبِّ. وَيَلِيهِمِ ٱلْمِصْرِيُّونَ، ٱلَّذِينَ قَبِلُوهُ عِنْدَمَا ٱلْتَجَأَ إِلَى دِيَارِهِمْ لِيَتَّقِيَ مَكْرَ هِيرُودُسَ. أَمَّا ثَالِثًا وَأَخِيرًا، فَٱلشَّعْبُ ٱلْإِسْرَائِيلِيُّ، ٱلَّذِي عَرَفَ ٱلرَّبَّ عَلَى يَدَيِ ٱلرُّسُلِ، بَعْدَ مَعْمُودِيَّتِهِ فِي نَهْرِ ٱلْأُرْدُنِّ.

مَاذَا يَبْقَى أَنْ أَقُولَ بَعْدُ؟

أَرَى ٱلْخَالِقَ وَٱلْمِذْوَدَ... أَرَى طِفْلًا وَأَقْمِطَةً... أَرَى عَذْرَاءَ فِي ٱلْمِخَاضِ، فَقْرٌ عَظِيمٌ... عَوَزٌ شَدِيدٌ... وَلٰكِنْ، أَرَأَيْتَ أَيَّ غِنًى يَكْمُنُ فِي هٰذَا ٱلْفَقْرِ ٱلْعَظِيمِ؟ إِنَّ ٱلْغِنَيَّ قَدِ ٱفْتَقَرَ مِنْ أَجْلِنَا. لَا سَرِيرَ لَهُ وَلَا فِرَاشَ، بَلْ فِي مِذْوَدٍ مُتَوَاضِعٍ وَضَعُوهُ...

يَا لَلْفَقْرِ! قَدْ صَارَ يَنْبُوعَ ٱلْغِنَى!

يَا لِلْغِنَى غَيْرِ ٱلْمُحَدَّدِ، ٱلْمُخْتَبِئِ فِي ٱلْفَقْرِ!

فِي ٱلْمِذْوَدِ تَضْطَجِعُ، وَتُحَرِّكُ ٱلْمَسْكُونَةَ كُلَّهَا.

وَبِٱلْأَقْمِطَةِ تُلَفُّ، وَتَكْسِرُ قُيُودَ ٱلْخَطِيئَةِ.

لَمْ تُفْصِحْ بَعْدُ بِكَلِمَةٍ،

وَقَدْ عَلَّمْتَ ٱلْمَجُوسَ مَعْرِفَةَ ٱللهِ.

«مَاذَا أَقُولُ، أَوْ بِمَاذَا أَنْطِقُ؟»

هَا هُوَ ٱلرَّضِيعُ مُقَمَّطًا بِٱلْأَقْمِطَةِ...

وَهَا هِيَ مَرْيَمُ، أُمٌّ وَعَذْرَاءُ مَعًا.

وَهَا هُوَ يُوسُفُ، يُدْعَى ظَاهِرًا أَبًا لِلطِّفْلِ.

تِلْكَ ٱمْرَأَةٌ، وَهٰذَا رَجُلٌ؛ تَسْمِيَتَانِ شَرْعِيَّتَانِ، لٰكِنَّهُمَا بِلَا حَقِيقَةٍ. (**لِأَنَّهُ لَمْ يَتِمَّ بَيْنَهُمَا زَوَاجٌ فِعْلِيٌّ حَقِيقِيٌّ**). فَإِنَّ يُوسُفَ لَمْ يَتَزَوَّجْ مَرْيَمَ إِلَّا خِطْبَةً، وَٱلرُّوحَ ٱلْقُدُسَ قَدْ ظَلَّلَهَا. وَهٰكَذَا، وَهُوَ مُمْتَلِئٌ حَيْرَةً، لَمْ يَعْرِفْ مَاذَا يَفْتَرِضُ نَحْوَ ٱلطِّفْلِ. لَمْ يَجْسُرْ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ ثَمَرَةُ زِنًا، وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَنْطِقَ بِكَلِمَةِ تَجْدِيفٍ عَلَى ٱلْعَذْرَاءِ. وَلَا هُوَ قَبِلَ ٱلطِّفْلَ ٱبْنًا لَهُ، لِأَنَّ سِرَّ كَيْفِيَّةِ وِلَادَتِهِ وَمِنْ أَيِّ شَخْصٍ وُلِدَ كَانَ مَجْهُولًا عِنْدَهُ.

وَلٰكِنْ، فِيمَا هُوَ فِي حَيْرَتِهِ، إِذْ بِهِ يَتَلَقَّى جَوَابًا مِنَ ٱلسَّمَاءِ، بِصَوْتِ ٱلْمَلَاكِ قَائِلًا: «يَا يُوسُفُ ٱبْنَ دَاوُدَ، لَا تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ ٱمْرَأَتَكَ. لِأَنَّ ٱلَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ. (متّى ١: ٢٠). وَهٰكَذَا كُشِفَ لَهُ، وَلَنَا نَحْنُ أَيْضًا، أَنَّ ٱلرُّوحَ ٱلْقُدُسَ قَدْ ظَلَّلَ ٱلْعَذْرَاءَ.

فَلِمَاذَا، إِذًا، أَرَادَ ٱلْمَسِيحُ أَنْ يُولَدَ مِنْ عَذْرَاءَ، مُبْقِيًا بَتُولِيَّتَهَا سَالِمَةً غَيْرَ مَمْسُوسَةٍ؟

وإليك السَّبَبَ:

فيما مَضَى، خَدَعَ الشَّيْطَانُ العَذْرَاءَ حَوَّاءَ.

أَمَّا الآن، فَقَدْ حَمَلَ الْمَلَاكُ البِشَارَةَ الخَلَاصِيَّةَ إِلَى **العَذْرَاءِ مَرْيَمَ**.

فيما مَضَى، نَطَقَتْ حَوَّاءُ كَلِمَةً صَارَتْ سَبَبًا لِلْمَوْتِ. أَمَّا الآن، فَقَدْ وَلَدَتْ مَرْيَمُ **الْكَلِمَةَ** الَّذِي صَارَ سَبَبًا لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ.

كَلِمَةُ حَوَّاءَ دَلَّتْ عَلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي أَخْرَجَتْ آدَمَ مِنَ الْفِرْدَوْسِ.

أَمَّا كَلِمَةُ مَرْيَمَ فَقَدْ دَلَّتْ عَلَى الصَّلِيبِ الَّذِي أَعَادَ آدَمَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الْفِرْدَوْسِ.

«فَلِنَرْفَعْ إِذًا الدُّوكْسُولُوجِيَا (التمجيد) إِلَى كَلِمَةِ ٱللهِ وَٱبْنِ ٱلْبَتُولِ، ٱلَّذِي شَقَّ طَرِيقًا فِي مَكَانٍ غَيْرِ مَسْلُوكٍ، مُرْسِلِينَ ٱلْمَجْدَ مَعَ ٱلْآبِ وَٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ، ٱلْآنَ وَكُلَّ أَوَانٍ، وَإِلَى دُهُورِ ٱلدُّهُورِ. آمِينَ.»

ملحوظة:

«ٱلَّذِي شَقَّ طَرِيقًا فِي مَكَانٍ غَيْرِ مَسْلُوكٍ» يُقصَدُ بها **بَتُولِيَّةُ ٱلْعَذْرَاءِ**. فَٱلْكَنِيسَةُ تُعَلِّمُ أَنَّ **بَتُولِيَّةَ ٱلْعَذْرَاءِ ظَلَّتْ مَخْتُومَةً** قَبْلَ ٱلْحَبَلِ، وَفِيهِ، وَبَعْدَهُ. وَهٰذَا يُعَبِّرُ عَنْهُ بِالنُّجُومِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تُزَيِّنُ جَبِينَ ٱلْبَتُولِ وَكِتْفَيْهَا.

الظُّهورِ الإلهيّ (الثيوفانيا)

مختاراتٌ من العظة الثانية عشرة للقدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم حول معموديّة ربّنا يسوع المسيح

«حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الأُرْدُنِّ إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ.» (متى ٣: ١٣).

مع العبيد يأتي السيِّد، ومع المتَّهَمين يأتي الديَّان ليعتمد. فلا تضطرب؛ لأنَّ مجد عظمته السامي يلمعُ أكثر في وسط هؤلاء المتواضعين.

فالحقّ أنّ ذاك الذي ارتضى أن يُحمل زمنًا طويلًا في رحمٍ بتوليّ، وأن يُولَد منه وفق قوانين الطبيعة الإنسانيّة، ثمَّ قَبِلَ أيضًا أن يُلطَم، ويُصلَب، ويحتمل سائر الآلام التي احتملها، فلماذا تتعجَّب إن كان قد ارتضى أن يعتمد أيضًا، وأن يأتي مع سائر الناس إلى عبدِه (يوحنا المعمدان)؟

لأنَّ الأمر الذي كان يثير الدهشة العظيمة حقًّا هو هذا: أنَّه، مع كونه إلهًا، شاء أن يصير إنسانًا؛ أمّا سائر الأمور، فإنّها من ثمَّ تتبع كلُّها تباعًا بحسب منطقٍ طبيعيّ.

ولهذا السبب نفسه سبق يوحنّا فقال تلك الأقوال بعينها، مُعلِنًا أنّه ليس أهلًا أن يحلّ سيور حذاء يسوع، وسائر ما قاله أيضًا. فعلى سبيل المثال، أعلن أنّ يسوع هو الديّان، وسيُجازي كلَّ واحد بحسب استحقاقه، وأنّه سيمنح الجميع دون استثناء الرُّوحَ القُدُس بوفرة؛ لِكَيْلَا تَظُنَّ، حِينَ تَرَاهُ آتِيًا إِلَى ٱلْمَعْمُودِيَّةِ، أَنَّ ٱتِّضَاعَهُ هٰذَا يَدُلُّ عَلَى نَقْصٍ أَوْ ضَعْفٍ، أَوْ أَنَّ فِيهِ شَيْئًا يُثِيرُ ٱلرِّيبَةَ..

وكذلك، وللسببِ نفسه، حين كان يسوع حاضرًا هناك، وضع يوحنّا أمامه عائقًا قائلًا: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!» (مت ٣:١٤). ذلك لأنّ المعموديّة كانت علامةً على التوبة، وتؤدّي إلى إقرارٍ بالخطايا المرتكبة. ولكيلا يظنّ أحدٌ أنّ يسوع أيضًا يأتي إلى الأردن بهذه النيّة نفسها، بادر يوحنّا إلى تصحيح هذا التصوّر المحتمل سلفًا، فدعاه «الحَمَل» أيضًا: «هُوَذَا حَمَلُ اللهِ» (يو ١:٢٩)؛ أي ذاك الذي تنبّأ عنه إشعياء (٥٣: ٧)، ودعاه كذلك فاديًا من الخطيئة عمومًا، أي من كلّ الخطيئة التي ارتُكبت في المسكونة: «ٱلَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ ٱلْعَالَمِ!» (يو ١:٢٩)، أي المسيح المخلّص والفادي، الَّذِي سَيُضَحِّي بِنَفْسِهِ، حَامِلًا عَلَى ذَاتِهِ خَطِيئَةَ ٱلْعَالَمِ وَذَنْبَهُ، لِيَرْفَعَهُمَا وَيُزِيلَهُمَا. فالحقّ أنّ من يستطيع أن يمحو خطايا الجنس البشري كلّه، يكون بالحريّ هو نفسه بلا خطيئة. ولهذا السبب لم يقل يوحنّا: «هوذا البريء من الخطيئة»، بل قال ما هو أعظم شأنًا: «ٱلْحَامِلُ خَطِيئَةَ ٱلْعَالَمِ» ، لكي تقبل مع هذا القول ذاك أيضًا بكلّ يقين، ولكي، بعد اقتناعك، تدرك أنّ مجيئه إلى المعموديّة ليس توبةً، بل تدبيرًا إلهيًّا يشتمل على أمورٍ أخرى أيضًا. ولهذا عينه، عندما أقبل يسوع إلى يوحنّا، كان يقول: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!» (مت ٣:١٤)، أي: أَنَا ٱلْإِنْسَانُ ٱلنَّاقِصُ وَٱلضَّعِيفُ مُحْتَاجٌ أَنْ أُعَمَّدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ، ٱلْكَامِلُ، بِلَا خَطِيئَةٍ، تَأْتِي لِتُعَمَّدَ مِنِّي؟ ولم يقل: «وأنتَ تُعمِّد منّي؟»، لأنّه خاف أن ينطق حتى بهذا القول. بل ماذا قال؟ قال فقط: « وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!».

فأيّ جوابٍ أعطى المسيح؟ لقد فعل آنذاك عينَ ما فعله لاحقًا مع بطرس. فكما أنَّ بطرسَ كان يمنعه من أن يغسل قدميه، كذلك فعل حينذاك أيضًا. ولكن عندما سمع بطرس القول:«لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ» (يو١٣:٧)، وحين سمع أيضًا «إِنْ كُنْتُ لاَ أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ» (أي: إنْ لم أَغسِلْ لكَ الآن قَدَمَيْكَ، وإنْ لم تَخضَعْ بتواضعٍ وثِقةٍ لي، فلا يمكنُ أن يكونَ لكَ بعدُ نَصيبٌ معي) (يوحنّا ١٣:٨). ففي الحالِ تَرَكَ الرفضَ وأطاع. وكذلك يوحنّا المعمدان، عندما سمع من يسوع هذه الكلمات: «دَعِ الأمر الآن، لأَنَّهُ هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرّ» ، أي: اترك الاعتراضات الآن، ولا تضع عوائق أمام معموديّتي، لأنَّه هكذا ينبغي، لك ولي معًا، أن نُتمِّم مشيئةَ الله كاملة (متّى ٣:١٥)، حينئذٍ أطاع في الحال. لِأَنَّهُمَا لَمْ يَكُونَا مُخَاصِمَيْنِ وَلَا مُعَانِدَيْنِ، بَلْ كَانَ يُمَيِّزُهُمَا ٱلْحُبُّ وَٱلطَّاعَةُ، وَكَانَا يَحْرِصَانِ عَلَى أَنْ يُطِيعَا ٱلرَّبَّ فِي جَمِيعِ ٱلْأَحْوَالِ.

لاحظْ أيضًا بأيّ طريقةٍ يُشجّعه من النقطة عينها التي كان يتردَّد بسببها أكثر من غيرها في إتمام المعموديّة. فإنَّه لم يقل: «هكذا هو العدل»، بل قال: «هٰكَذَا هُوَ ٱللَّائِقُ». لأنَّه، بما أنّ الأمر الذي كان

يراه غير لائق به قبل كلّ شيء هو أن يُعمَّد من العبد، فإنَّه يطرح تحديدًا ما يتعارض مع هذا التصوّر، وكأنَّه يقول له: لأنّ الأمر الذي كان يراه، قبل كلّ شيء، غيرَ لائقٍ به، أي أن يُعمَّد من عبدٍ، هو بالذات ما يُبرزه **المسيح** هنا، بوصفه الأمر الذي يصطدم بهذه الفكرة نفسها، وكأنّه يقول له: أأنتَ تمنع هذا وتعيقني عن المعموديّة، لأنّك تظنّ أنّ الأمر غير لائق؟ لكن لأجل هذا السبب عينه، دعْ الرفض الآن، لأنّ هذا بالذات هو ما ينبغي أن يتمّ قبل كلّ شيء، ولم يقل فقط: «**دع الاعتراضات**»، بل أضاف أيضًا عبارة «**في الوقت الحاضر**» («دع الأمر الآن» – متّى ٣: ١٥). لأنّ هذا الوضع، كما يقول، لن يدوم إلى الأبد، بل ستراني أيضًا في الحالة التي تتمنّاها. أمّا الآن، فاحتمل هذا الأمر.

ثمّ يبرهن بعد ذلك بأيّ معنى يكون هذا الأمر لائقًا. فَلِمَ هو لائقٌ إذًا؟ لأنّنا هكذا نُتمِّم كلَّ وصيّةٍ من وصايا الناموس، وهو ما كان يُعلِنه حين قال العبارة: «كلَّ بِرّ» (متّى ٣: ١٥). فالحقيقة أنّ «البرّ» هو إتمام الوصايا. فبعد أن أتممنا، يقول، جميع الوصايا الأخرى، يبقى هذا الأمر وحده الآن، ويجب أن نُضيفه هو أيضًا. لأنّي قد أتيتُ لأُبطل اللعنة التي نشأت من مخالفة الناموس. وعليه، ينبغي أن أُتمِّم أنا نفسي كلَّ شيءٍ أوّلًا، لكي أُحرِّركم من الدينونة، وهكذا أُكمِل رسالتي.

لذلك يلزم أن أُطبِّق أنا أوّلًا هذا الناموس تطبيقًا كاملًا في كلّ شيء، لأنّه يجب أن أمحو اللعنة التي كُتِبت ضدّكم في الناموس. ولهذا السببِ عينه أخذتُ جسدًا، وأتيتُ قريبًا منكم. حينئذٍ تركهُ **يوحنّا**، ولم يُبدِ اعتراضًا بعد. «فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ» (متّى ٣: ١٦). وخرجَ يسوعُ فورًا من الماء، لأنّه لم تكن له أيُّ خطيئةٍ ليعترفَ بها، بينما كان الآخرون يبقون في الماء طوالَ المدّة التي كان يستغرقها اعترافُهم. «وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ.» (متّى ٣: ١٥–١٦).

في الواقع، كان **كثيرون من الناس يعتبرون يوحنّا أعظمَ شأنًا من يسوع**، لأنّه نشأ وتربّى وعاش طوال حياته في البرّيّة، ولأنّه كان ابنَ رئيسِ كهنة، ولأنّه كان مرتديًا لباسًا غريبًا على هذا النحو، ولأنّه كان يدعو الجميع إلى المعموديّة، ولأنّه وُلِدَ من امرأةٍ عاقر. أمّا **يسوع**، فلأنّه وُلِدَ من فتاةٍ غير معروفة الشأن (إذ لم يكن الميلاد البتولي قد أُعلِن بعدُ للجميع)، ولأنّه نشأ في بيتٍ عاديّ، ولأنّه كان يختلط بجميع الناس، ولأنّه كان يرتدي لباسًا مألوفًا، فقد كانوا يعتبرونه **أدنى من يوحنّا**، إذ لم يكونوا قد عرفوا بعدُ شيئًا عن تلك الأسرار الخفيّة والأحداث العجيبة. وزاد الأمرُ أيضًا أنّه اعتمد على يد **يوحنّا**، وهو ما كان يعزّز لديهم هذا التقدير أكثر فأكثر. وحتّى لو لم يكن في أذهانهم شيءٌ ممّا ذُكِرَ سابقًا عن الفروق بين الاثنين، فإنّهم كانوا يظنّون أنّ **يسوع واحدٌ** من بين كثيرين من الناس الذين كانوا يعتمدون على يد **يوحنّا**؛ إذ لو لم يكن واحدًا من بين الكثيرين والعاديّين، لما كان قد أتى إلى المعموديّة مع الآخرين. وهكذا كان **يوحنّا يُعَدّ أعظم بكثير وأكثر إثارةً للإعجاب من يسوع**.

ولكن لكي لا تسود هذه النظرة في أذهان الجموع، انفتحت السماوات في اللحظة التي كان فيها **يسوع** يعتمد، ونزل **الرُّوح**، ومع **الرُّوح** سُمِع صوتٌ يُعلِن كرامة **الابن الوحيد**. ولكن لأنّ الصوت الذي قال: «هذا هو ابني الحبيب» (متّى ٣: ١٧) كان يبدو، في نظر البعض، وكأنّه يليق بيوحنّا أكثر، إذ لم يُضِف: «هذا الذي يعتمد»،

بل قال القول على نحوٍ مطلق؛ وبما أنّ الصوت الذي قال: «هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (متّى ٣: ١٧) ، وحين قيلت كلمة «هذَا»، كان من الطبيعي أن يظنّ كلّ واحدٍ من السامعين أنّ هذا القول إنّما قيل بالأحرى عن المُعمِّد لا عن الذي كان يعتمد، وذلك بسبب مقام المُعمِّد وبسبب ما ذُكِر عنه سابقًا. ولهذا السبب نزل **الرُّوحُ** بهيئةِ حمامةٍ، وجاءَ الصَّوتُ ليجذب الانتباه ويُبيِّن أنّه كان فوق **يسوع**، وبذلك جعل الأمر واضحًا للجميع أنّ كلمة «هذا» لم تُقَل عن **المُعَمِّد يوحنّا**، بل عن الذي كان يعتمد، أي **يسوع**.

ولماذا، قد يسأل أحدهم، لم يؤمنوا رغم حدوث هذه الأحداث العجيبة؟

فحتى في أيّام **موسى** جرت آيات كثيرة، وإن لم تكن مماثلة لما يحدث الآن، ومع ذلك، بعد كلّ تلك الأمور، وبعد الأصوات والأبواق والبروق (خروج ١٩ وما بعدها)، صنعوا عجلًا، وأقاموا طقوس عبادة وسجود لبعل فغور (خر ٣٢ وما بعدها). بل إنّ أولئك أنفسهم الذين كانوا حاضرين آنذاك عند المعموديّة، والذين رأوا لاحقًا **لعازر** يقوم من بين الأموات، أظهروا قدرًا عظيمًا **من عدم الإيمان** تجاه ذاك الذي صنع هذه الآيات، حتى إنّهم حاولوا مرارًا **أن يقتلوه** . فإذا كانوا، مع أنّهم كانوا يشاهدون بأعينهم أمواتًا يقومون، لا يزالون مع ذلك **واقعين تحت سلطان هذا الشرّ العظيم**، فلماذا إذًا تتعجّب لأنّهم **لم يؤمنوا** بالصوت الذي كان يُسمَع من السماء؟

فالواقع أنّ نفس الإنسان، **متى كانت جاحدة ومنحرفة، وقد استولى عليها هوى الحسد**، لا تخضع لأيٍّ من هذه العجائب؛

وكذلك، على العكس، حين تكون النفس شاكرة، فإنّها تقبل كلَّ شيءٍ بالإيمان، دون أن تكون في حاجةٍ ماسّة إلى كثرة الآيات العجيبة. مَاذَا يُصْنَعُ أَيْضًا لِكَرْمِي وَأَنَا لَمْ أَصْنَعْهُ لَهُ؟ (إشعياء ٥: ٤).

وهكذا، ففي هذه الحالة أيضًا، افحص الأمر بالطريقة عينها: ماذا كان ينبغي أن يُفعَل ولم يُفعَل؟

وفي كلّ مرّة تُثار فيها نقاشات حول عناية **الله**، واجِه الذين، اعتمادًا على شرّ الكثيرين، يحاولون التشكيك في العناية **الإلهيّة**، بهذه الطريقة نفسها.

«مَاذَا يُصْنَعُ أَيْضًا لِكَرْمِي وَأَنَا لَمْ أَصْنَعْهُ لَهُ؟» (إشعياء٥: ٤).

لذلك، ففي الحالة الحاضرة أيضًا، افحص الأمر بالطريقة نفسها: ما الذي كان يجب أن يُعمَل ولم يُعمَل؟ وهكذا، كلّما أُثيرت نقاشات حول عناية **الله**، واجه بهذه الطريقة أولئك الذين، اعتمادًا على شرّ الكثيرين، يحاولون التشهير بالعناية **الله**. انتبه إذًا إلى نوع الأحداث العجيبة التي تقع، والتي تُعَدّ مقدمات للمعجزات الآتية؛ فليس **الفردوس** وحده هو الذي يُفتَح، بل السماء نفسها. أمّا الحديث عن

سلوك اليهود، فلنتركه لفرصة أخرى متى أُتيح لنا ذلك، والآن، بمعونة الله، فلنعد إلى موضوعنا.

«فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، لأنّه لم تكن له أيُّ خطيئةٍ ليعترفَ بها، بينما كان الآخرون يمكثون في الماء طوالَ المدّة التي كان يستغرقها اعترافُهم. وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، وها هي قد انفتحتْ من أجلِه، فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ» (متّى ٣: ١٦).

ولِماذا انفتحتِ السماوات؟ لكي تتعلَّم أنّ الأمرَ نفسه يحدث عندما تعتمد أنت أيضًا، إذ إنّ الله يدعوك إلى الوطن السماوي، ويسعى إلى إقناعك ألّا تُبقِيَ لك أيَّ ارتباطٍ بالأمور الأرضيّة. أمّا إن كنتَ لا ترى انفتاحَ السماء، فلا تُظهِر عدمَ إيمانٍ بسبب ذلك. لأنّه في الحقيقة، عند بداية الأمور العجيبة والروحيّة، يكون لدينا دائمًا حضورُ ظهوراتٍ حسّيّة وتحقّقُ أحداثٍ عجيبة كهذه، من أجل أولئك الذين لا يملكون ذهنًا فطنًا، ويحتاجون إلى رؤيةٍ حسّيّة، ولا يستطيعون إدراك أيّ أمرٍ غير محسوس، بل يتهيَّبون ويرتعبون فقط أمام ما يرونه بأعينهم. والنتيجة أنّك، وإن لم تستمرّ المعجزات بعد ذلك، تَقَبَّل بالإيمان الأمور التي أُعلِنت مرّة واحدة في البدء من خلال المعجزات. وكما هو معلوم، فقد سُمِع عند الرسل في يوم العنصرة صوتُ ريحٍ عاصفة، وظهرت ألسنة ناريّة، غير أنّ ذلك لم يكن من أجل الرسل أنفسهم، بل **من أجل اليهود** الذين كانوا حاضرين آنذاك. وعليه، فمع أنّ المعجزات الحسّيّة لا تحدث بعد ذلك، فإنّنا نقبل بالإيمان ما قد أُعلِن من خلالها مرّة واحدة في البدء. ولهذا السبب عينه **ظهرت الحمامة** أيضًا، لكي تُشير، كما لو كانت إصبعًا تُشير بوضوحٍ إلى ابنِ الله، سواء للحاضرين هناك أم **ليوحنّا** نفسه. لكنّها لم تظهر لهذا الغرض وحده، بل في الوقت نفسه لكي تعلم أنّه حينما تعتمد أنت أيضًا، ينزل عليك **الرُّوح القُدُس**. وعليه، فنحن لسنا بحاجة إلى ظهوراتٍ حسّيّة، لأنّ الإيمان يحلّ محلّ كلّ شيء. ثمّ إنّ المعجزات لا تُجرى من أجل المؤمنين، بل من أجل **غير المؤمنين**.

ولِأيِّ سببٍ ظهرَ **الرُّوحُ القُدسُ** بهيئةِ حمامة؟ لأنَّ هذا الطائرَ وديعٌ ونقيّ. وبما أنّ **الرُّوحَ القُدسَ** هو روحُ الوداعة، فلذلك ظهرَ بهذه الهيئة. وفوق ذلك، فإنّ هذا الأمر يذكّرنا أيضًا بقصّة قديمة؛ إذ عندما تعرّضت المسكونة كلّها قديمًا لغرقٍ شامل، وكان الجنس البشري مهدّدًا بالفناء **بسبب الطوفان**، ظهر هذا الطائر نفسه، فأشار إلى توقّف العاصفة، وبشّر بالخبر المفرِح عن هدوء المسكونة الكامل، من خلال غصن الزيتون الذي كان يحمله في منقاره (تكوين ٨: ١٠-١١). وكانت كلّ هذه الأمور، في الحقيقة، رمزًا واستباقًا للأحداث الآتية. في الحقيقة، كانت حالُ البشر آنذاك أسوأ بكثير، وكانوا مستحقّين عقابًا أعظم. ولكي لا يستولي عليك اليأس، يذكّرك بهذا الحدث من العهد القديم. فحين بلغت الأمور آنذاك حدًّا مَيْؤُوسًا منه، أُعطيتْ مع ذلك حلٌّ، وتمّ إصلاحُ الوضع الرديء. أمّا ذاك الحدث القديم فكان يتمّ بعقاب، في حين أنّ ما يجري الآن يتمّ بنعمة الله غير الموصوفة وبعطيّته. ولهذا السبب تظهر الحمامة أيضًا، لا لكي تحمل لنا غصن الزيتون، بل لكي تُعلن لنا **الفادي من جميع الشرور**، وتملأ نفوسنا برجاءٍ صالحٍ ومُعزٍّ. ولا تُخرج أحدًا من الفلك كما في السابق، بل ترفع بظهورها المسكونة كلّها إلى السماء، وبدل غصن الزيتون، تهبُ الجنس البشري كلَّه التبنّي من الله.

بعد أن تفكّر إذًا وتدرك عِظَم هذه العطيّة، لا تظنّ أنّ كرامة **الرُّوح القُدُس** أقلّ، لأنّه ظهر بهذه الهيئة، أي بهيئة الحمامة. فأنا أسمع بعضهم يقولون إنّه كما أنّ الفرق كبير بين الإنسان والحمامة، هكذا يكون الفرق أيضًا بين **المسيح والروح القدس**، بحجّة أنّ **يسوع** ظهر في صورتنا نحن البشر، أمّا **الرُّوح القُدُس** فقد ظهر في صورة حمامة. فما الجواب الذي نُقدّمه على مثل هذه الآراء؟ الجواب هو هذا: إنّ **ابن الله** قد صار إنسانًا بالحقيقة، أمّا **الرُّوح القُدُس** فلم يَصِر حمامة على الحقيقة، بل ظهر فقط **بهيئة** الحمامة. ولهذا السبب لم يقل الإنجيليّ إنّ الروح ظهر بطبيعة الحمامة، بل قال: «بِهَيْئَةِ حمامة»، ولم يظهر بهذه الهيئة بعد حادثة معموديّة **الرَّبّ**، بل في تلك اللحظة وحدها فقط. فإن كنتَ، بسبب هذا الأمر، تزعم أنّ قيمة **الرُّوح القُدُس** أدنى من قيمة **يسوع**، فبحسب هذا المنطق نفسه ينبغي أيضًا أن تُعتَبَر الشارويبيم أعظم بكثير، بقدر ما يكون النسر أعظم من الحمامة، إذ إنّ الشارويبيم قد ظهروا بهيئة النسر (حزقيال، الإصحاحان ١٠ و١١). بل وأكثر من ذلك، لكان سائر الملائكة أيضًا أعظم شأنًا، لأنّهم كثيرًا ما ظهروا بهيئة الإنسان. لكنّ هذه الأفكار **ليست صحيحة – لا، ليست صحيحة على الإطلاق**. لأنّ أمرًا هو: حقيقةُ التدبير الإلهي، وأمرًا آخر هو الظهورُ الإراديّ العابرُ في لحظةٍ ما بهيئةٍ معيّنة.

لذلك أُلغِيَتْ أيضًا المعموديّةُ اليهوديّةُ، وأُقيمَ عِوَضًا عنها السرُّ المسيحيّ. فكما جرى مع عيد الفصح، هكذا حدث أيضًا مع المعموديّة. إذ إنّه في تلك الحالة، بعد أن احتفل **المسيحُ** بالفصحين كليهما، ألغى من جهةٍ الفصحَ اليهوديّ، ومن جهةٍ أخرى أسّس فصحَنا نحن. وعلى هذا النحو أيضًا، اعتمد **المسيحُ** بالمعموديّة اليهوديّة، غير أنّه في الوقت عينه أسّس المعموديّة التي بها يفتح أبواب الكنيسة. وكما أنّه آنذاك، على مائدة واحدة، بعدما خدم **الظلّ**، أضاف الحقيقة، هكذا الآن أيضًا، في نهرٍ واحد، أي نهرِ الأردن، بعد أن أتمّ ما هو ظلّ، أضاف الحقيقة. فالمعموديّة هذه وحدها هي التي تمنح نعمة **الرُّوح القُدُس**، أمّا معموديّة **يوحنّا** **فكانت خالية من هذه العطيّة**.

ولهذا السبب عينه لم يحدث شيءٌ مماثل مع سائر الناس الذين كان **يوحنّا** يعمّدهم، بل ظهر **الرُّوح القُدُس** وحده على ذاك الذي كان مزمعًا أن يهبَه للناس. وذلك لكي تتعلَّم، إلى جانب ما سبق، أنّ الذي صنع هذا العجب ليس طهارةُ المُعمَّد، بل قدرةُ الذي كان يعتمد. فعندئذٍ انفتحت السماء، ونزل **الرُّوح القُدُس**. وليس فقط يدعونا، بل في الوقت نفسه يهبنا أيضًا مقامًا عظيمًا؛ لأنّه لم يجعلنا ملائكة ولا رؤساء ملائكة، بل أقامنا أبناءً محبوبين لله، وبهذا يجذبنا إلى ذلك الميراث. ولكي نبلغ نحن أيضًا هذه الغاية، **فلنُحطِّم نيرَ الأهواءِ الثقيل**، ولنُجنِّح نفوسَنا للسفر نحو السماء، بنعمة ربِّنا يسوعَ المسيحِ ومحبّته للإنسان، الذي له المجدُ والقوّةُ إلى دهرِ الدهور. آمين.

والدة الإله الفائقة القداسة

سألني أحدهم سابقًا: «لماذا نُكرِّمُ والدةَ الإلهِ الفائقةَ القداسةِ بهذا المقدار؟ ولماذا نُكرِّمُها لا أكثرَ من جميعِ القدّيسين فحسب، بل وأيضًا أكثرَ من الملائكة ورؤساء الملائكة؟»

فأجبته بأنّه لا الملائكة، ولا رؤساء الملائكة، ولا الشيروبيم، ولا الساروفيم، كانت لهم مشاركةٌ بهذه الدرجة من القرب والجوهر في عمل خلاصنا، كما كان لِأُمِّ الله.

✝ القدّيس ثيوفانيس الحبيس

إنّ محبّةَ الطفلةِ للعذراءِ محبّةٌ نقيّةٌ بلا حساب، تشبه الإيمانَ حين يكون بسيطًا وصادقًا. تضمّ الأيقونةَ إلى صدرها كأنّها تضمّ أمّها، وتجد في وجه والدةِ الإله طمأنينةً وحنانًا يفوقان الكلام. هكذا تُعلّمنا الطفولةُ أنّ الطريقَ إلى السماء يبدأ بقلبٍ صغيرٍ يعرف كيف يحبّ، ويثق، ويُسلِّم ذاته بين يدي أمِّ الرحمة.

اسمُنا؟ مسيحيّ ✝ للقدّيس يوحنا السُلَّمي

تدعونا الكنيسةُ أن نتذكّر، بل وقبل كلّ شيء أن نعيش باستمرار ما يعنيه اسمُنا: الاسمُ العامّ «المسيحي»، والاسمُ الخاصّ الذي نلناه في معموديّتنا.

لأنّ الاسمَ الحقيقيّ، قبل كلّ شيء، لكلّ مؤمنٍ هو «مسيحيّ».

وجميعُنا نعلم أنّ جوابَ القدّيسين الشهداء في إيماننا، في زمن الاضطهادات، حين كانوا يُسألون عن اسمهم، كان: «مسيحيّ هو اسمي».

كان القدّيسون يَعْلَمُون أنّ انضمامهم إلى جسد المسيح، ومسيحيّتهم، قد صار منذ ذلك الحين أسمى وأقدس ما في حياتهم، الأمرَ الذي كان حقًّا يرسم ملامح وجودهم ويطبع كيانهم.

كان مركزُ ثِقَلهم هو المسيح، لا أيَّ شيءٍ أرضيّ، مهما بدا عظيمًا ومهمًّا. ولهذا كانوا يقدّمون حتّى حياتهم ذاتها.

ثمّ يأتي أيضًا اسمُنا المعموديّ: وهو اسمُ قدّيسِنا، وهذا الاسم بدوره يُحيل إلى الرَّبِّ نفسه، لأنّ القدّيس كان في الأصل مُقتديًا به، ولهذا السبب عينه تقدّس.

سواءٌ دُعينا باسم «مسيحيّ» أم باسم قدّيسِنا، فإنّنا نتذكّر أنّنا أعضاءٌ في المسيح، وصورٌ له، وهياكلُ لروحِهِ القُدُّوس. وهذا ليس خيالًا أو فكرةً ذهنيّة، بل هو الحقيقةُ الواقعيّة بعينها. «روحُ الربّ، هناك حرّيّة»، ويجعلنا نشعر أنّنا أبناءُ الله، مع صرخةٍ دائمة في داخلنا: «أبّا، أيّها الآب!».

لكن أن أشعر بأنّي ابنُ الله، وأن أُخاطبه «أبًا»، هو ما يهبني إيّاه اسمي؛ أي اسمي المسيحيّ بلا شكّ، **لا أيّ اسمٍ غريبٍ أو شاذٍّ أو تصغيريّ، ممّا يعمل بطريقةٍ مُربِكةٍ ومُضلِّلةٍ تمامًا**. وإذ أُخاطبُ اللهَ أبًا، بوصفي عضوًا في المسيح، يصبح من البديهيّ أنّني مدعوٌّ أنا أيضًا لأن أعيش كما عاش المسيح: بطاعةٍ لمشيئة الله، وبتواضع، وبمحبّة. ففي نهاية المطاف، هذا هو معنى «المسيحي»: **«أن يكون الإنسانُ مقتديًا بالمسيح، بقدر ما هو ممكنٌ للبشر»**.

إنّ ملائكةَ حراسةِ حياتِنا يثبتون بمثابرةٍ أوفر إلى جانب الذين نقّوا نفوسهم بالصيام، وهم أنفسُهم الملائكةُ الذين يُدوّنون الصائمين في كلّ كنيسة.

✝ القدّيس باسيليوس الكبير

في هذه الصورة مشهدًا رمزيًّا روحيًّا عميقًا: رجلٌ واقفٌ في خشوع، يداه مضمومتان في صلاةٍ صامتة، وعيناه منكسرتان إلى الداخل، كأنّه يقف أمام الله لا أمام الناس.

خلفه ملاكٌ نورانيّ، يضع يده بلطفٍ على كتفه، في حركةٍ تجمع بين الحراسة والتعزية والتثبيت. هذه اللمسة ليست قسرًا، بل مرافقة محبّة.

في الخلفية، ظلال داكنة لِقوى متصارعة، وسيوف مرفوعة، توحي بـ معركة غير منظورة تدور حول الإنسان، لا بالسلاح بل بالإرادة والإيمان.

النور ليس ساطعًا فجًّا، بل ذهبيّ هادئ، يملأ المشهد كما يملأ السلام قلب من يصلّي بصدق.

كأنّ المشهد يهمس بأنّ الصلاة ليست هروبًا من المعركة، بل الدخول الحقيقي فيها، حيث يُختَبَر ثبات القلب.

فالإنسان الواقف أمام الله في خفاء، تحيطه السماء بحراستها، ويصير ضعفه قوّة، وصمته شهادة.

دير الثالوث القدوس العامر للروم الأرثوذكس في ميتاورا - اليونان

ΙΕΡΑ ΜΟΝΗ ΑΓΙΑΣ ΤΡΙΑΔΑΣ

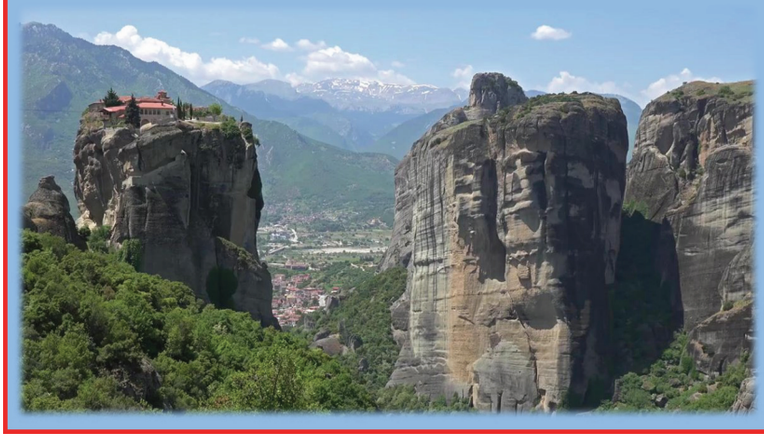

ميتيورا – دير الثالوث القدّوس

تبلغ مساحة قمّة الصخرة التي يقوم عليها الدير نحو ستّة «دونمات» تقريبًا. أمّا مؤسِّس الدير فلا تتوفّر عنه معطيات مؤكَّدة. ووفقًا للمصادر التاريخيّة، يُرجَّح أن يكون الدير قد شُيِّد ضمن الإطار الزمني الممتدّ بين سنتي ١٤٥٨ و١٤٧٦. ولا نعلم على وجه اليقين مدى صحّة الرواية التي تنسب تأسيس الدير سنة ١٤٣٨ إلى الراهب دوميتيوس، إذ لا تتوافر عنه أيّ معلومات موثوقة. ولا يُستبعَد، كما هو الحال في سائر صخور ميتيورا الشامخة، الراسخة في صمتها وهيبتها. أن يكون أوائل النسّاك قد أقاموا هنا مساكنهم النسكيّة في مطلع القرن الرابع عشر. وليس اختيار هذه الصخرة الشاهقة موضعًا للسكنى مجرّد صدفة جغرافيّة، بل تعبيرًا عن توقٍ نسكيٍّ إلى الارتفاع عن ضجيج العالم، والانفتاح بالصلاة على الأفق الإلهي.

في الأزمنةِ القديمة، كان الرهبانُ والحجّاجُ يصعدون إلى قِمّةِ صخرةِ ديرِ الثالوثِ القدّوس بواسطةِ سُلَّمٍ حبليٍّ وبالشبكةِ التقليديّة. غير أنّه في سنة ١٩٢٥، إبّان رئاسة الدير من قبل الأب نيكاندروس ستاثوبولوس، نُحِتَت ١٤٠ درجة حجريّة تشقّ طريقًا ضيّقًا عند قاعدة الصخرة، وتؤدّي إلى الدير. واليوم يوجد أيضًا تلفريك (العربة الهوائي) يُستعمل أساسًا لنقل المؤن والمواد. ولا يزال الصعود إلى الدير، رغم هذه التسهيلات، يتطلّب جهدًا جسديًّا ملحوظًا، كأنّهعبور تمهيديّ يهيّئ الزائر للدخول إلى عالم الصمت والصلاة.

في الماضي، وبما أنّ **دير ميتيورا الكبير** كان يُعدّ مركز الحياة الرهبانيّة، فقد ضمّ أكبر عدد من الرهبان. أمّا **دير الثالوث القدّوس** فكان يؤوي آنذاك سبعة إلى ثمانية رهبان، إضافةً إلى نحو خمسة عشر راهبًا في قلاليه وممتلكاته التابعة. أمّا اليوم، فلا يقيم فيه سوى أربعة رهبان فقط. ورئيس الدير الحالي هو الأرشمندريت خريسوستوموس تِتسيوس.

وفي قلب هذا الوجود الرهباني، ينتصب الهيكل المركزي بوصفه محور الحياة الليتورجيّة والصلاة الجماعيّة.

في القسم الشمالي الغربي من قمة الصخرة الشامخة يقع الكاثوليكون، أي الكنيسة الرئيسيّة للدير، المكرَّسة على اسم الثالوث القدّوس. وهي تمثّل أقدم مرحلة بنائيّة في الدير، وتُعدّ أهمّ مبانيه وأكثرها إثارة للاهتمام. ويُرجَّح أنّها شُيِّدت سنة ١٤٧٥–١٤٧٦. وهي كنيسة صغيرة من الطراز البيزنطي، ذات مخطّط صليبي قائم على عمودين، تعلوها قبّة منخفضة، وتتألّف من الهيكل، وصحن الكنيسة، والنارثكس (الرواق). ونظرًا لقلّة النوافذ، فإنّ الكنيسة مظلمة نسبيًّا. وفي صحن الكنيسة، وهو صغير المساحة، يوجد أيقونسطاس مُذهَّب، تتوسّطه أيقونة **للمسيح** عن يمين الباب الملوكي (١٦٦٢)، وأيقونة **لوالدة الإله** (١٧١٨). أمّا النارثكس، فهو إضافة لاحقة إلى صحن الكنيسة، ويُرجَّح أنّه بُني سنة ١٦٨٩. وفي سنة ١٦٨٢ أُضيف إلى جوار الهيكل مخزن صغير للأواني الكنسيّة.

عقب بناء الكنيسة مباشرة، أي في سنتي ١٤٧٥–١٤٧٦، أُنجزت أولى الجداريّات على يد الرسّام الطيباوي يوحنّا. غير أنّ هذه الجداريّات اسودّت مع مرور الزمن. أمّا الزخرفة الجداريّة الحاليّة، فبحسب نقش محفوظ في الكنيسة، فقد أُنجزت سنة ١٧٤١ على يد الكاهن أنطونيوس وأخيه نيقولاوس، في عهد رئاسة الدير للأب بارثينيوس. ومن أبرز هذه الجداريّات أيقونة **المسيح الضابط الكلّ**، **وأيقونات الإنجيليّين الأربعة**. كما زُخْرِفَ النارثكس الواسع بالجداريّات سنة ١٦٩٢، إبّان رئاسة الدير للأب إيوناس.

وتُعدّ هذه الجداريّات شاهدًا بصريًّا ناضجًا على استمراريّة التقليد البيزنطي في زمنٍ متأخّر، من دون انقطاع روحي أو فني.

ويكتمل المجمع البنائي للدير بقاعة الطعام، وقاعات الاستقبال، والصهاريج، وجميعها مُجدَّدة ومُعتنى بها. ويستحقّ اهتمامًا خاصًّا **مصلى القدّيس يوحنّا المعمدان**، وهو كنيسة صغيرة دائريّة ذات قبّة، محفورة في الصخر. وقد شُيِّدت وزُخرفت سنة ١٦٨٢. ويُحتمل أنّ هذا المكان كان في الأصل، قبل تحويله إلى كنيسة، مسكنَ عزلةٍ لأحد النسّاك.

كان رهبان الدير ينسخون المخطوطات عن كتبٍ أخرى، ولم تقتصر هذه المخطوطات على الموضوعات الدينيّة فحسب، بل شملت أيضًا علومًا كالرّياضيّات والفيزياء وغيرها. ويضمّ الدير اليوم أكثر من ١٢٠ مخطوطة، محفوظة منذ سنة ١٩٥٣ في **دير القدّيس اسطفانوس**، وذلك لأنّ **دير الثالوث القدّوس** كان مغلقًا لمدّة خمسين سنة. ولم تُعاد هذه المخطوطات إلى الدير بسبب قلّة عدد الرهبان وصعوبة صيانتها. وكان أسقف ستاغون، العالم والنشيط، باييسيوس (١٧٨٤–١٨٠٨) ، من كليينوفوس، يملك مكتبة قيّمة تضمّ كتبًا نادرة، وقد تبرّع بها **لدير الثالوث القدّوس**. إلّا أنّ هذه المكتبة لم تصل إلينا، إذ يُرجَّح أنّها فُقِدت خلال فترة الحرب العالميّة الثانية.

كما كان مخزن المقتنيات في الدير يحتوي على ذخائر ثمينة، كالصُّلبان، والملابس الكهنوتيّة، والمخطوطات القديمة، والقناديل، والكؤوس الليتورجيّة، وغيرها من الأدوات المقدّسة. غير أنّه تعرّض للنهب إبّان الاحتلال، على يد مجهولين دَنَّسوا المقدّسات، وسرقوا حتّى جرس الدير.

وأخيرًا، فإنّ الأيقونسطاس الخشبيّ المنحوت القديم في صحن الكنيسة، وهو ذو قيمة فنّيّة عالية، قد **سُرق** سنة ١٩٧٩ على **يد عصابة من سارقي الآثار**، واستُبدل اليوم بآخر أحدث. ولم يبقَ من الأيقونسطاس القديم سوى صليب في أعلاه. كما سُرقت أيقونات قديمة ذات قيمة فنّيّة كبيرة. ومن الذخائر التي حُفِظت: الرأس الكريم للقدّيس تريفون. وقد نجا بصعوبة ستٌّ وعشرون أيقونة قديمة وأكثر من ١٢٠ مخطوطة، محفوظة –كما ذُكر– في **دير القدّيس اسطفانوس** لأسباب أمنيّة. ومن أبرز الأيقونات المحفوظة أيقونة **الثالوث القدّوس**، وأيقونة **للمسيح** مرتديًا اللباس «الكاراغكوني» التقليدي للمنطقة.

وفي مِخْنَح الكنيسة يوجد **إنجيل قديم** بغلافٍ فضّي، طُبع في البندقيّة سنة ١٥٣٩. وهكذا يبقى دير الثالوث القدّوس شاهدًا صامتًا على تاريخٍ من الصلاة، والنسك، والصبر، رغم تقلبات الأزمنة.

الصورة المرفقة: اللباس «الكاراغكوني» التقليدي للمنطقة، أحد أزياء تسالِّي الشعبيّة، ويجسّد جذور الحياة الريفيّة ووقارها.

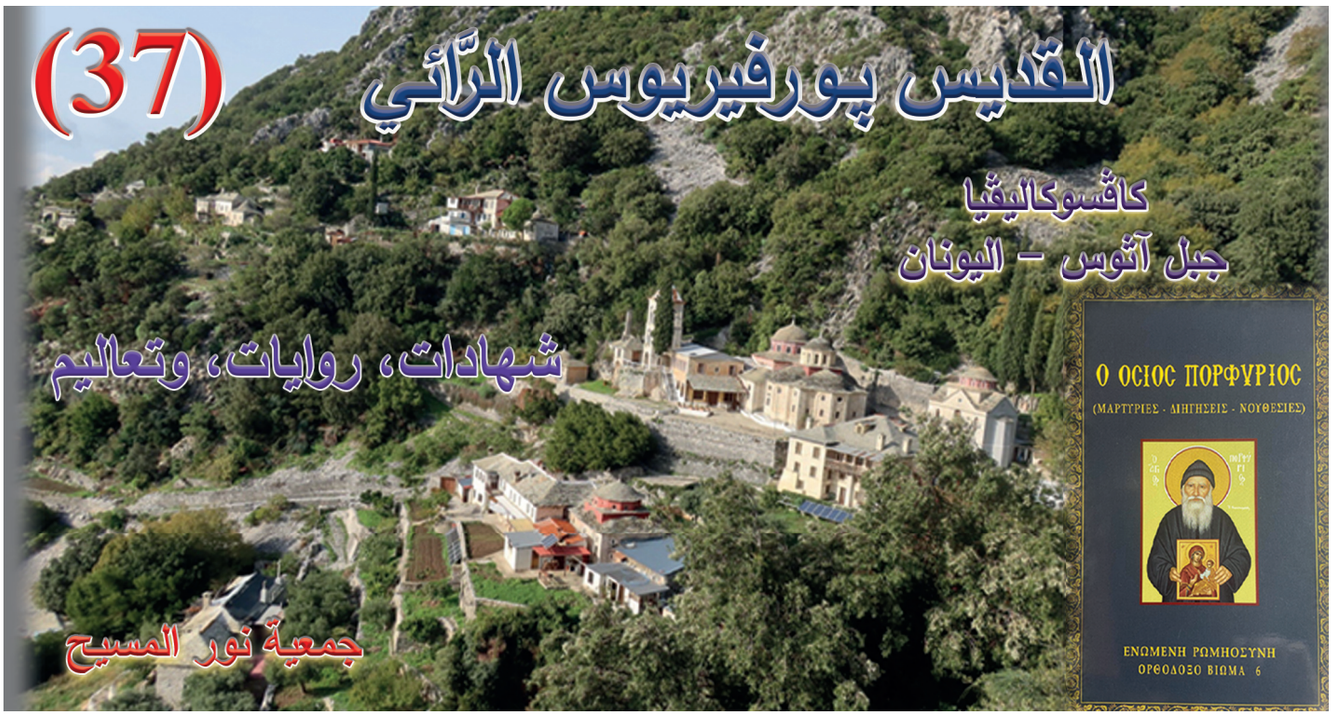

١٤ – مساعدة لشاب – تتمة من العدد السابق

ذاتَ مرّة، قبلَ عيدِ الميلادِ سنةَ ١٩٨٥، قال لي الأبُ فوتيوس في **كاليسّيا** أن أبيتَ ليلتي في **دير الباراقليط**. فأطعتُ، وقضيتُ الليلَ كلَّه في الصلاة إلى الشيخ الذي كنتُ سأذهب إليه في اليوم التالي ليُعينني. وبعد الخدمة والقهوة، ذهبتُ إليه ماشيًا على قدميّ. وما إن دخلتُ قلايّتَه، حتّى بدا كأنّه كان ينتظرني.

– ما الأمر الذي جعلك لا تتركني في هدوء طوال الليل؟

– يا أبي، لم أعد أحتمل، أريد أن أخلُص.

– حسنًا، أنا أباركك بعلامة الصليب، والربّ يرحمك.

جثوتُ على ركبتيّ، وجلسَ القدّيسُ بدوره على السرير، ورَشَمَني بعلامة الصليب مُدّةً غيرَ قصيرة، بالصليب الذي وضعه لاحقًا في أساسات الكاثوليكون لكنيسة التجلّي الإلهي. عندئذٍ بدأتِ النعمةُ الإلهيّةُ تنسكبُ في داخلي تدريجيًّا، وراحت تزولُ جميعُ مشاكلي النفسيّة والجسديّة، ونمت فيَّ محبّةٌ فائقةٌ للمسيح، وفرحٌ لا يُوصَف، ورجاءٌ عميق، ومحبّةٌ عظيمةٌ لجميع الناس، وشعرتُ أنّ جميع البشر صالحون، وأنّه إن أمكن ينبغي لي أن أساعدهم، وأدركتُ قساوةَ قلبي وحاجتي إلى الرحمة، وأنّني، على أيّ حال، أتحمّل مسؤوليّةَ آلامِ الناس؛ فانهمرت دموعي، وحلّت فيَّ توبةٌ حقيقيّة عن **خطاياي الكثيرة والعظيمة**.

في تلك الأيّام مررتُ بتصادُماتٍ كثيرة واضطراباتٍ داخليّة عميقة، فتزعزع كياني بشدّة. وبعد ذلك حلّت نعمةٌ عظيمة في داخلي. ذهبتُ شهرًا واحدًا إلى جبل آثوس، وعشتُ حالاتٍ لا يمكن وصفها. وإحدى الحالات الأولى التي اختبرتها بعدما رشمني القدّيس هي أنّني كنتُ أُردِّد الصلاة بلا انقطاع. وقد ساعد أيضًا **القدّيس باييسيوس في جبل آثوس**. فلتكن شفاعاتُ القدّيسَين المعاصرين عونًا للعالَم كلّه.

١٥ – «كان ذلك عجيبة» شهادة السيدة نيكي خيل:

في سنة ١٩٨٤ كنا نعيش في **جزيرة كريت**، وكانت طفلتنا إيريني، البالغة من العمر اثنتي عشرة سنة، قد خرجت إلى الطريق لتساعد جدّة عمياء على الذهاب إلى العيادة. فصدمتها سيارة فقذفتها إلى ارتفاع مترين، فسقطت ورأسها داخل خندقٍ إسمنتي. وقال الأطباء في مستشفى **خانيا** إن علينا أن نغادر فورًا إلى أثينا، لأن الضربة كانت خطيرة، وكانت الطفلة في غيبوبة، وربما لن تعيش.

نقلتنا **طائرة داكوتا تابعة لسلاح الجوّ العسكري إلى أثينا**. وفورًا في مستشفى الأطفال، أحاط جميع الأطباء بالطفلة، لكنهم لم يكونوا يعلمون إن كانت ستتحسّن.

وفي **خانيا**، كان صاحب السيادة المتروبوليت إيريناؤس يقضي الليل كلّه راكعًا في الهيكل يصلّي، كما كان جميع أصدقائنا والكهنة يصلّون من أجل إيريني ابنتنا.

كانت في غيبوبة سبعة أيّام. كان الأطباء يكلّمونها باستمرار، ولم تكن تُبدي أيّ استجابة على الإطلاق. غير أنّه في اليوم الخامس، عندما جاءت إحدى أخواتي، همستُ في أذنها: «انظري يا إيريني، مَن جاء ليراكِ»، ففتحت قليلًا عينها اليسرى وقالت بصوت خافت جدًا: «والدةُ الإله»، ثم عادت فسقطت في غيبوبة. ففرح الأطباء وقالوا: «لدينا بعض الأمل». في ذلك اليوم اتصل بنا الأب غيورغيوس من **سفاكيا**، وهو أبٌ لاثني عشر ولدًا. كان معروفًا لدى **القديس بورفيريوس**، وكان **القديس**، عندما كان يذهب إلى كريت، يقيم دائمًا في بيته. فقال لي عبر الهاتف: « يا أختي، اذهبي فورًا إلى الشيخ بورفيريوس وقولي له أن يصلّي من أجل الطفلة».

وكان لنا صديقٌ مقرَّب من العائلة يعاني من مشكلة صحيّة كبيرة. ولمّا علم بأنّنا سنذهب إلى الشيخ بورفيريوس، جاء بسيارته ليقلّنا. ورافقتنا أيضًا **ريفكّا**، وكانت آنذاك طالبة في جامعة بانتيون، وهي اليوم الأخت مكاريا ورئيسة دير القديس إفرايم في نيا ماكري، كما رافقنا عرّابنا **غيورغيوس من خيوس**، وهو أستاذ.

تركنا أمّي وأختي في المستشفى لكي تعتنيا بالطفلة، ثم ذهبنا إلى **أوروبوس**، حيث كان الشيخ بورفيريوس يقيم آنذاك في بيتٍ متنقّل (كاراڤان). وكان صديقنا **يعقوب**، الذي كان يقلّنا، يعاني من مشكلة كبيرة؛ إذ لم يكن يستطيع أن يتبوّل وكان يتألّم. وعندما وصلنا، أنزلنا وذهب هو أيضًا إلى الغابة محاولًا أن يفعل ذلك.

دخلتُ أوّلًا إلى الداخل. كان الشيخ جالسًا على دِيوان، ملتفًّا ببطّانيةٍ عسكريّةٍ صوفيّة، يضع قبعته، وكان جميلًا جدًّا ومضيئًا. فركعتُ بقربه دون أن أقول شيئًا. ورسم عليَّ إشارة الصليب بصليبٍ خشبيّ فوق رأسي سبع مرّات، كأنّه كان يعلم أنّ لي سبعة أولاد، وهو يقول لي ثلاث مرّات: «كانت معجزة، يا ابنتي، كانت معجزة، لا تحزني». ثم جلسنا جميعًا حوله، فقال لنا: «حسنًا، هذا **يعقوب** لديه مشكلة كبيرة. ذهب إلى الغابة، ولا يستطيع أن يتبوّل، المسكين.»

ولمّا دخل يعقوب، قال له الشيخ: «مرحبًا بيعقوب خُوْرافاس». فتعجّبنا جميعًا كيف كان يعرف اسمه وكنيته. وأخبره أنّه قبل سنواتٍ طويلة كان قد تعرّف إلى جدّه وجدّته في **كورفو**، وروى له العديد من القصص عنهما.

اسمع ما أقول لك، يا **يعقوب**، إنّ لك أصدقاء أطبّاء عسكريّين يريدون أن يُجروا لك عمليّة جراحيّة. لا تقبل بذلك، لأنّهم سيخيطونك خطأً، وستتألّم أكثر، بعدها ستذهب إلى **إنكلترا** ليُصلِحوا حالتك التي سائت، وبعد سنتين تموت. فتوسَّل فقط إلى والدة إلهنا لتشفيك، وأحبِبْ مسيحَنا؛ فهؤلاء هم أطبّاؤك. أتسمع يا **يعقوب**؟.

لم يُصغِ يعقوب إلى الشيخ؛ إذ خاف، لأنه كان يتألّم. فأقنعه أيضًا أصدقاؤه الأطبّاء، فأُجريت له العمليّة الجراحيّة. وقد جرى كلّ شيء كما قال له الشيخ، وترك طفلَيْه الصغيرَيْن يتيمَيْن.

ونصح أيضًا عرّابَنا أن يغادر أثينا ويذهب إلى خيوس ليعتني بوالدَيه.

«عدنا إلى المستشفى، وفي المساء تمّت المعجزة. بدأت إيريني ابنتنا تُرتِّل: ''مباركٌ هو إلهُنا...''».

«في الصباح جاء الأطباء ولم يصدّقوا أعينهم. كانت إيريني جالسةً على السرير وتبتسم. قالت لي: ''يا أمّي، قدّمي الحلوى للأطفال''. كانوا قد قالوا إنّه إن أفاقت فستكون طفلةً ذات احتياجاتٍ خاصّة. أمّا الصلاة والبركة ومحبّة قدّيسنا بورفيريوس فقد جعلتها سليمةً تمامًا، وهي تعمل الآن».

وعندما خرجنا من المستشفى، ذهبنا فورًا إلى الشيخ بورفيريوس لنأخذ بركته، وليبارك إيريني ابنتنا.

«أحبَّهَا الشيخُ كثيرًا، وقال لها: ''أحسنتِ يا طفلةَ المعجزة''، وكان يمسك يدها بكلِّ هذه المحبّة. وكان يريد أن يُهديها صليبًا خشبيًّا كان قد نحته بيديه، لكنها لم تُرِد أن تحرمه منه ولم تأخذه. عندئذٍ أعطاها سبحتَه (الكومبوسخيني) التي نحتفظ بها نحن بمحبّةٍ كبيرة، ونُعطيها حيثما توجد حاجة لتكون حِرزًا وبركة. وكلّما كُنّا في أثينا نذهب لنأخذ بركته».

«كان مريضًا في كثير من الأحيان، لأنه كان يحمل أمراض الناس الذين يتألّمون. وكان هناك أبٌ بنّاء له خمسة أولاد، أُصيب **بالهربس** في وجهه وعنقه. ذهب إلى الشيخ ليأخذ بركته، وفي أيام قليلة شُفي، بينما أصيب القديس بورفيريوس بالهربس في الموضع نفسه. وكان طريح الفراش، وبجانبه كانت موقدةُ حطبٍ مشتعلة، وكان واضحًا أنه يتألّم».

«ذاتَ مرّةٍ أخذتُ إليه حفيدَنا جبرائيل، وكان في الثانية من عمره، ليباركه. فقال لي: ''أمَا تراه؟ إنّه طفلٌ مباركٌ جدًّا''، ثمّ دلّله على رأسه. أخذنا بركته وانصرفنا وكأنّنا نطير؛ إذ كان يفيض على الجميع كلَّ هذا الفرح وكلَّ هذه المحبّة، وقوّة حياة، على الرغم من أنّه كان يتألّم، حامِلًا آلامَ الآخرين».

«وذاتَ مرّةٍ ذهبنا بجميع أولادنا إليه ليباركهم وينالوا بركته. كان يُحبّ الأطفال كثيرًا. فسألته: ''إلى أين نذهب لنعيش؟'' فقال لي: ''اذهبوا إلى سكاردامولا''. وهكذا كان اسمُ كارداميلي الحاضرة في العصور القديمة، في منطقة ماني. وقد كان هذا اللقاء في **دير القديس نيقولاوس في أوروبوس**، حيث كان يقيم الشيخ القديس بورفيريوس».

«أقمنا هناك سنواتٍ كثيرةً مباركةً ومثمرة. وكان الشيخ يرسل إلينا أطفالًا متألّمين مختلفين ليعيشوا بقربنا، ويصادقوا أولادنا، ويتناولوا طعامًا صحيًّا، ويشعروا بالمحبّة والدفء في حضن العائلة. لدينا الكثير لنرويه من قصصٍ ومعجزاتٍ كانت تتمّ بصلاته ومحبّته، هو قديسُنا بورفيريوس. فلتكن بركته معنا».

تُعَدّ كارداميلي قريةً ساحليّةً جميلةً جدًّا في ماني الميسينيّة، تقع على بُعد ٣٥ كيلومترًا جنوب مدينة كالاماتا، وتتبع إداريًّا لبلديّة ليفكترو. وتُعَدّ كارداميلي واحدةً من أفضل القرى التقليديّة المحفوظة في ماني الميسينيّة، وفي الوقت عينه مقصدًا سياحيًّا مهمًّا.

أوّل ذِكرٍ نملكه لكارداميلي يرد عند هوميروس، إذ يذكرها كواحدةٍ من المدن السبع التي عرضها أجاممنون على أخيل مهرًا له، إن هو تزوّج إحدى بناته. وقد حافظت القرية حتّى يومنا هذا على اسمها ما قبل التاريخي. وكارداميلي قرية ذات تاريخٍ غنيّ، يتجلّى بوضوحٍ من خلال وجود المستوطنة التاريخيّة لكارداميلي القديمة.

وكارداميلي قريةٌ ساحليّةٌ خلّابة، غنيّة بتنوّع مناظرها الطبيعيّة، تستقطب عددًا كبيرًا من الزوّار، ولا سيّما في أشهر الصيف. وهنا يستطيع الزائر أن يُعاين منحدراتٍ خضراء وارفة، وبساتين زيتون شاسعة، وشواطئ رائعة، وبيوتًا حجريّة أنيقة من العمارة المانيّة التقليديّة، وأزقّةً مرصوفةً بالحجر، وحدائقَ غنّاء، إلى جانب الميناء الصغير الجميل ذي الطابع التصويري للقرية.

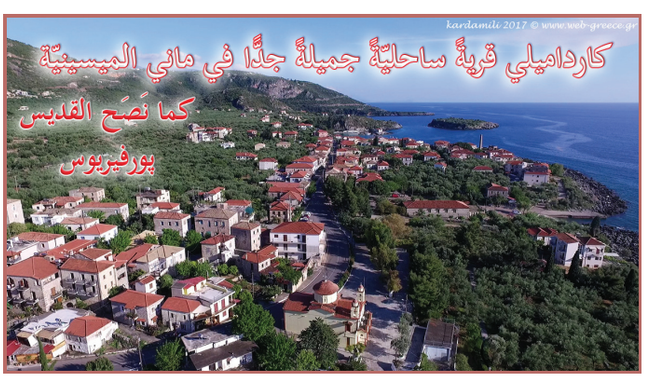

يتبع في العدد القادم

الْمَسْكُونِيَّةُ وَأَعْضَاؤُهَا فِي نِيقِيَة لِمُرُورِ 1700 عَامٍ عَلَى الْمَجْمَعِ الْمَسْكُونِيِّ الأَوَّل

الإيمان بقرارات المجامع المسكونيَّةُ السبعةُ هو أَسَاسُ الوَحْدَةِ الحقيقية

من حيث الظاهر، تبدو الصورة مشهدًا احتفاليًّا منمّقًا، يجمع رجال دين من طوائف ومذاهب متعدّدة، بأزياء ليتورجيّة مختلفة ووجوه مبتسمة، في ما قد يُقدَّم للعين السطحيّة على أنّه صورة محبّة ووحدة. غير **أنّ الكنيسة، بحسب إيمانها الأرثوذكسي**، لا تُقاس بالمظهر ولا بالاجتماع الشكلي، بل بالحقّ المُعلَن والمُعاش. فالكنيسة ليست إطارًا اجتماعيًّا ولا تحالفًا رمزيًّا، بل هي جسد **المسيح** الواحد، القائم على الإيمان الواحد، والمعموديّة الواحدة، والافخارستيا الواحدة. وعندما تُوضَع عقائد متناقضة جنبًا إلى جنب، وكهنوت حقيقي إلى جانب **كهنوت مرفوض لاهوتيًّا، وتعاليم آبائيّة أصيلة** إلى جانب لاهوت مُحدَث ومُبتور، فإن ما يحدث لا يكون شهادةً للوحدة، بل **خلطًا بصريًّا يُغطّي الانقسام العقائدي تحت عنوان السلام**. فالمشكلة هنا ليست في الأشخاص، بل في المنهج الذي يُساوي بين **الحقّ والباطل**، ويُفرغ الوحدة من مضمونها الخلاصي، ويحوّلها من ثمرة للحقّ إلى بديلٍ عنه. لأنّ الإيمان المسيحي ليس قاسمًا مشتركًا عامًا، بل إعلانًا محدّدًا: أنَّ **اللهَ الكلمةَ** تجسَّدَ وصارَ إنسانًا، واتَّخذ جسدًا حقيقيًّا، ليُقيم آدمَ الساقط وذريّته، ويُدخِل الإنسان إلى التألّه بالنعمة.

وهنا يبرز السؤال الجوهري الذي لا يمكن تجاوزه: **هل الجميع يؤمنون بهذا الإيمان عينه؟** إذ تعلن الكنيسة **بوضوح**: «رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ» (أفسس 4:5).

وتبقى الكنيسة الأرثوذكسيّة، التي تحفظ وديعة الإيمان الّتي أوكلها إليها **الربّ يسوع المسيح**، القائم من بين الأموات، بكلّ حرصٍ وانتباه، مدعوّةً أن تكون أمينةً حتّى الموت، لأنّها ليست مجرّد مؤسّسة دينيّة، بل الباب الذي يجذب المؤمنين إلى طريق الخلاص. فشهادة الكنيسة ليست خيارًا بشريًّا ولا مبادرةً ثقافيّة، بل أمانة إلهيّة تسلّمتها من **فم الربّ** نفسه. أليس **المسيح**، عند صعوده الى السماء، قال لتلاميذه الأطهار: «اذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ.» (مت 28: 19).، وقال أيضًا: «وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ». (أع 1: 8)؟. وهذه الشهادة ليست مجرّد إعلانٍ لفظي، بل **شهادة بالموت والقيامة والفداء للبشريّة قاطبة**. لذلك، فإن رسالة الكنيسة في العالم ليست عملًا بشريًّا محضًا، ولا مشروعًا وحدويًّا **خاضعًا لموازين السياسة أو المجاملة**، بل طاعةٌ مباشرة لأمرِ **المسيح**، وحفظٌ للإيمان المستقيم الذي به وحده تُعرَف الكنيسة، وبه وحده يقود **الربّ** النفوس إلى طريق الخلاص.

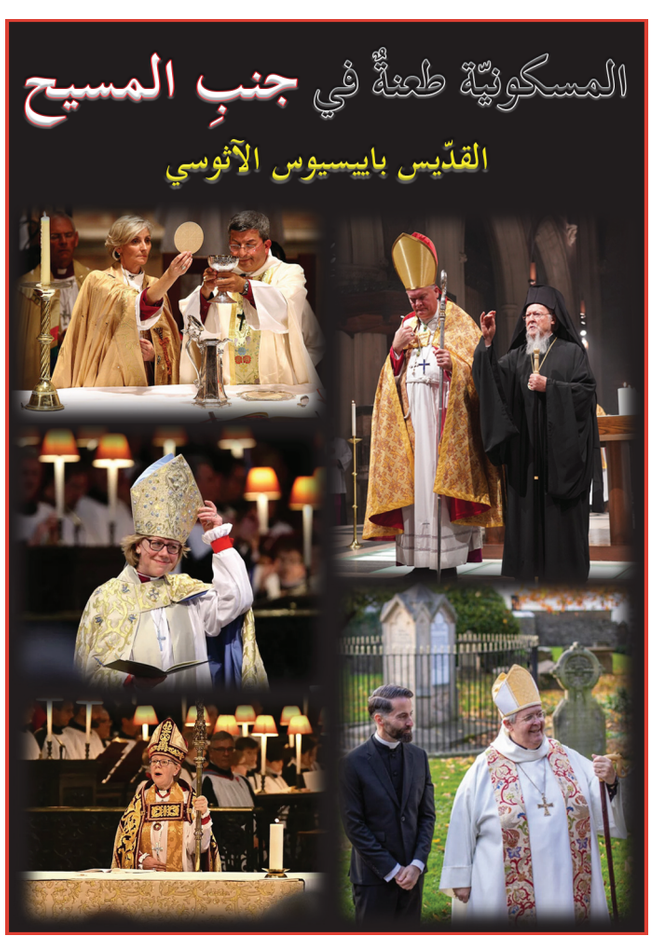

إنَّ بابا روما، لاوُن الرابع عشر، استجابةً لدعوةٍ رسميّةٍ من برثلماوس، البطريرك المسكوني، توجَّه يوم الجمعة، 28 تشرين الثاني 2025، إلى نيقية في بيثينيا، حيث انضمَّ إليهم ثيودوروس، بابا وبطريرك الإسكندريّة، وبمشاركة ممثّلين عن كنائس أخرى وهيئاتٍ كنسيّة، لإحياء الذكرى الـ1700 لانعقاد المجمع المسكوني الأوّل، الذي التأم هناك سنة 325.

وقد تصدّى المتقدّم في الكهنة ثيودوروس زيسيس لهذا اللقاء ذي الطابع المسكوني، مستندًا في موقفه إلى تعليم الآباء القدّيسين وتراث الكنيسة الأرثوذكسيّة.

ΟΧΙ ΜΟΝΟ ΔΕΝ ΦΟΒΟΥΝΤΑΙ ΤΟΝ ΘΕΟ ΠΟΥ ΤΟΝ ΑΚΟΛΟΥΘΟΥΝ, ΑΛΛΑ ΤΟΝ ΑΠΟΚΑΛΟΥΝ ΚΑΙ ΠΑΤΕΡΑ ΤΟΥΣ.

عنوان المحاضرة باليونانية ، موضوعة تحت الصورة فوق:

ليس فقط أنهم لا يخافون الله الذي يتبعونه، بل يدعونه أيضًا أباهم.

يشير هذا القول إلى أنّ هناك من لا يعيش مخافةَ الله الحقيقيَّة، لأنه لا يتبع الإلهَ المُعلَن في الحقّ، الربَّ يسوعَ المسيح، الإلهَ الذي تجسَّد وصارَ إنسانًا، ومع ذلك يستخدم لغةَ البنوة ويدعو الله أبًا بجرأةٍ لفظيّة لا تستند إلى إيمانٍ مستقيم، ولا إلى علاقةٍ روحيّة صحيحة.

ولهذا يرد صوت الرَّبّ واضحًا وحاسمًا:

«كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ.» (رؤيا 2: 10)

وكما يحذّر الرسول بولس قائلًا:

«لاَ تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لأَنَّهُ أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبِرِّ وَالإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟» (2كورنثوس 6: 14).

من أقوال الآباء القديسين
الذين استشهد بهم ثيودورس زيسيس:

إنَّ القوانينَ الإلهيّةَ والمقدَّسةَ هي دِفَّةُ الكنيسة، وبها تُقادُ تحتَ إرشادِ الرُّوحِ القُدُس؛ وأمّا مَن يتجاوزُها فيخرجُ عن المسيرةِ الروحيّة.

القدّيس نيقوديموس الآثوسي.

«لا يجوز أن يُعمَل في الكنائس الإلهيّة أيّ شيءٍ خارجًا عن القوانين الإلهيّة والمقدّسة؛ فإمّا التعدّي على القوانين، وإمّا خراب الكنيسة.»

القديس مرقس الأفسسي (مرقس أوجينيكوس / ذو الأصل النبيل)

«لأنّه لا يوجد شيءٌ مقبولٌ في الكنيسة خارج القوانين الإلهيّة؛ فمَن يحيد عنها، إنّما يُقصي نفسه بنفسه عن جسد المسيح.»

القدّيس ثيودوروس الستوذي

«مَن لا يحفظ القوانين المقدَّسة، يعصي الرسل، وبهذا يعصي الروحَ القدس.»

القديس فوتيوس الكبير:

«كلّ ما دُوِّن عقائديًّا ووُضع قانونًا على يد المجامع، يجب حفظه؛ ومن يتجاوزه يَطرُد نفسه بنفسه من رباط الكنيسة.»

القديس أثناسيوس الكبير

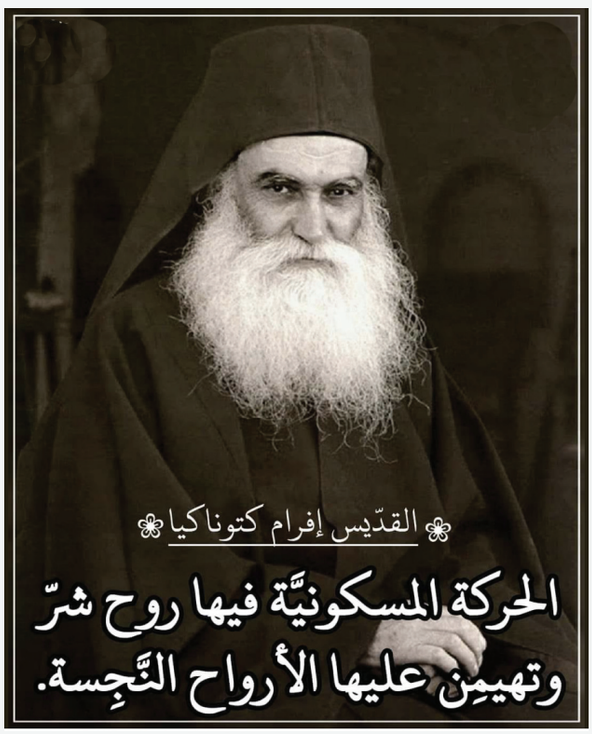

«يا بُنيّ، هذا السؤال قد طرحه عليَّ شخصٌ آخر منذ بعض الوقت. أمّا أنا، فقد كنت أعيش هنا في جبل آثوس، على هذه الصخور، نحو أربعين عامًا، حتى إنني نسيتُ لغتي اليونانيّة نفسها (مع أنّني كنت قد أتممتُ المرحلة المتوسّطة)، ولذلك لم أنشغل يومًا بمثل هذه المسائل.

لكن، إذ كان لا بدّ لي من الجواب، بعدما سُئلت عن أمرٍ لم يكن لي به علم، دخلتُ إلى قلايّتي، وصلّيتُ طالبًا من المسيح أن يُعلّمني ما هي المسكونيّة.

وفي الصلاة، تلقّيتُ جوابًا مفاده أنّ هذه الحركة تحمل روحًا شريرًا، وتخضع لتأثير الأرواح النجسة.»

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

أسقف المدن الخمس

سوتوس خوندروبولوس

الفصل السابع

«لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ، بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ.» (رومية ١:٢١).

« «يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا!» (مت ٢٣:٣٧).

ثم دخلت عليه مبتدئةٌ شابةٌ أصبحت فيما بعد معروفةً جدًّا، وأحضرت إليه القهوةَ التي لا غنى له عنها في أوقات الشدّة. فسمعته يُحدِّث نفسَه قائلًا:

«ليسامحْكَ اللهُ يا أَخي! هكذا إذن، أنت لا تعرف شيئًا عن إنشاء هذه المؤسَّسة المقدَّسة... لا تعرف شيئًا على الإطلاق؟»

ثم وقف ورسم على صدره إشارةَ الصليب ثلاثَ مرّات وقال:

«يسوعُ المسيحُ المُخلِّصُ هو الغالب. لقد أتى غالبًا لكي يغلب».

ثم عاد إلى غرفة نومه، وركع أمام أيقونة والدةِ الإله وصلّى من أعماق النفس قائلًا:

«إنّي أتألّم يا سيدتنا، وأكثر ممّا أستطيع وصفه. ليس من أجلي شخصيًّا، وأنتِ تعرفين أني أنا العجوز أستطيع أن أعيش أينما كان. وقد كتبتُ إلى بعض النساك القدّيسين من جبل آثوس الواقع تحت حمايتك، داعين إيّاي لمشاركتهم نسكهم.

«إنّي أتألّم بصورةٍ خاصّة من أجل هذه العذارى القدّيسات، هذه النفوس البسيطة والشريفة التي أوكلها إليَّ "ابنك"».

ثم خرج من بابٍ جانبيٍّ إلى باحةٍ تقع خارج الدير، كانت تنمو فيها

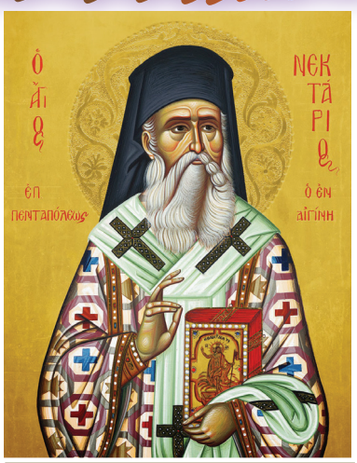

القديس نكتاريوس العجائبي

شجرة صنوبرٍ أخرى، وكانت صلبةً كالأولى، خضراء وذات إبرٍ قويّة. وكان المشهدُ الخريفيُّ رائعَ الجمال. فبعد أن بدأ نزول المطر منذ بضعة أيام، عادت الأرض تتنفّس من جديد مسرورة. وكانت الشمس تدفع الضباب إلى ما فوق الغابات، هذا الضباب الأحمر الذي ترتحف فيه شموسٌ صغيرة. كان كلُّ شيءٍ يبدو ضاحكًا، حتى أصغر ذرّةٍ من العشب. وبدت الغابات القريبة والبعيدة مثل أمواجٍ من الذهب السائل. وكان السلامُ الخريفيُّ يسيطر على كلّ شيء.

بعد ذلك صَفَت السماء واتّسعت، وظهرت فيها سلسلةٌ من الغيوم البيضاء الصغيرة التي راحت تخترقها من الشرق إلى الغرب مثل قطيعٍ من الخراف. وفي مكانٍ ما من الأفق طار مالكُ الحزين مهاجرًا خافقًا بجناحيه.

وتتمّم نكتاريوس:

«أيها الربّ الكلّيّ القدرة، إنّ كلَّ فنٍّ وكلَّ جمالٍ هما من صنع يديك. وطالما أنشدت لك عصافيرُ السماء وغنّت لك القُبَّرات، فإنّ قلبَ الناس سيستمرّ في طلبك، أنتَ يا مصدر الحبّ. لا تبتعد عن عبيدك المتواضعين في وقت المحنة».

وقبل أن يكتب دفاعه إلى هذا المتروبوليت الغاضب والمتصلّب، فكّر في طريقة إخفاء الخطر عن الشركة، لتجنّب الذعر والاضطراب. وكان يجب خصوصًا ألّا يستفيد **الشيطان**، أمير الظلمات وقاتل البشر، من يأسٍ عامٍّ فينتصر.

يتبع في العدد القادم

المعمودية المقدسة

القديس نكتاريوس

أسقف

المدن الخمس

«لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ» (غلاطية ٣: ٢٧).

ما أعظم الحقيقة التي يُبرزها لنا **الرسول بولس** بهذه الكلمات!

فالمسيحيّون المعمَّدون لا يلبسون الإنسان العتيق مع أهوائه وشهواته الخاطئة، بل قد لبسوا الإنسان الجديد. لقد **لبسوا المسيح** نفسه، الذي يحيا الآن في قلوبهم. وكلمة «لبسوا» لا تشير إلى لباسٍ بسيطٍ

أو خارجي، بل إلى أمرٍ أعمق، إلى واقعٍ جوهريّ وغير قابلٍ للانتزاع.

بإيماننا **بالمسيح** وبمعموديّتنا نلبس **المسيح** نفسه، ونصير أبناءَ الله، ومساكنَ **للرُّوح القُدُس** الكلّي القداسة، وهياكلَ لله، وقدّيسين وكاملين، وآلهةً بالنعمة.

فإذًا قد خلعنا عنّا الفساد، ولبسنا عدم الفساد. وخلعنا إنسان الخطيئة، ولبسنا إنسان البرّ والنعمة. وطردنا الموت، ولبسنا الخلود...

لكن هل تفكّرنا أيضًا في الالتزامات العظيمة التي تحمّلناها، بمعموديّتنا، أمام الله؟ هل أدركنا أنّه يجب علينا أن نتصرّف كأبناءَ الله، وكإخوةٍ لربّنا؟ وأنّ من واجبنا أن نُوَحِّد مشيئتنا مع مشيئة الله؟ وأنّه ينبغي لنا، كأبنائه، أن نبقى **أحرارًا من الخطيئة**؟.

وأنّه يجب علينا أن نُحبَّه بكلّ قوّتنا، من أعماق نفسنا وقلبنا؟ وأنّه يجب علينا أن نعبده، وأن نشتاق إلى الاتحاد به إلى الأبد؟ هل فكّرنا، يا ترى، أنّ قلبنا ينبغي أن يكون مغمورًا بالمحبّة، بحيث تفيض هذه المحبّة أيضًا إلى قريبنا؟ وهل لدينا الوعي بأنّه يجب علينا أن نصير قدّيسين وكاملين، وصورًا لله، وأبناءً لله، وورثةً لملكوت السماوات؟.

لأجل كلّ هذا علينا واجبٌ أن نجاهد، لكي لا نُظهِر أنفسنا غير مستحقّين للدعوة التي دعانا الله بها، فنُرفَض... نعم، يا إخوتي، فلنجاهد بغيرةٍ وبذلٍ للذات لكي نغلب.

فلا يفقد أحدٌ منّا شجاعته، ولا يُهمِل، ولا يجبُن، ولا يرتبك أمام ساحات الجهاد الروحي. لأنّ لنا معينًا هو الله، الذي يقوّينا في الطريق الصعب طريق الفضيلة.

لو كان جميعُ الناس يعيشون كما يريدُ **الربّ**، لكانوا، بلا شكّ، قد نمَّوا القُوَى التي وهبهم الله إيّاها، لكنّهم في الوقت نفسه كانوا سيتحلَّون بكثيرٍ من الحذر، لأنّ ضميرهم الأخلاقيّ كان سيكون أيضًا ناميًا ومُستنيرًا.

وَلِمَا كانوا ليتقدَّموا بغير تعقُّلٍ إلى ما يتجاوز الحدّ الذي يستطيعون ضبطه والسيطرة عليه.

فالملعبُ يُظهر الرياضيّ،
والشتاءُ يُظهر القائدَ (الربّان)،
والمعركةُ تُظهر القائدَ العسكريّ،
والمصيبةُ تُظهر عِظَمَ النفس،
أمّا المسيحيّ فيُظهره الامتحان.

القديس باسيليوس الكبير

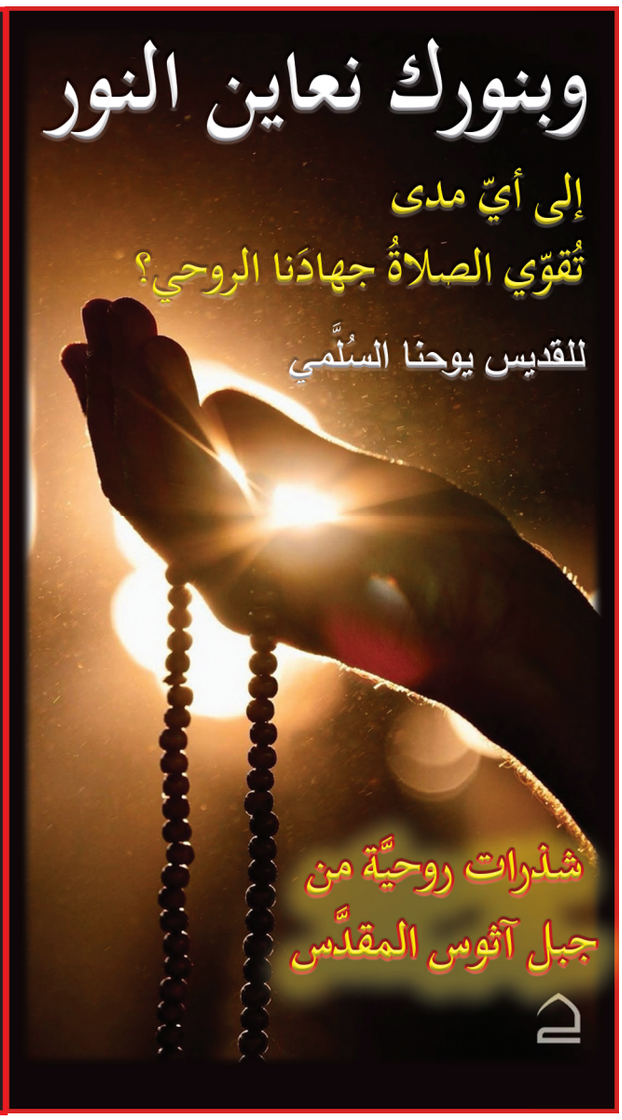

إلى أيّ مدى تُقَوّي الصلاةُ جهادَنا الروحي؟

القديس يوحنا السلّمي

الصلاةُ، من حيثُ جودتُها، هي معاشرةٌ وشركةٌ واتّحادُ الإنسانِ بالله. ومن حيثُ فاعليّتُها، فهي قِوامُ العالمِ وحفظُه، والمصالحةُ مع الله، وأمُّ الدموع، وهي أيضًا ابنتُها، وغفرانُ الخطايا، وجسرٌ يُنقِذ من التجارب، وسورٌ يحمينا من وخزات الضمير، وسَحقُ الحروب، وعملُ الملائكة، وغذاءُ جميعِ الكائناتِ غيرِ الهيوليّة (الملائكيّة).

والصلاةُ هي الفرحُ الآتي، والعملُ الذي لا ينتهي، وينبوعُ الفضائل، وسببُ المواهب، وتقدُّمٌ غيرُ منظور، وغذاءُ النفس، ونورُ العقل، وفأسٌ يضرب اليأس، وبرهانُ الرجاء، وتبديدُ الحزن، وغنى الرهبان، وكنزُ الهادئين، وخفضُ الغضب، ومرآةُ التقدُّم الروحي، وكشفُ المقاييس، وإعلانُ الحالة الحقيقيّة، وإعلانُ الأمور الآتية، وعلامةُ المجد الروحي الذي يناله الإنسان.

والصلاةُ، لمن يُصلّي حقًّا، هي محكمةٌ وميزانٌ ومنبرُ الربّ، قبل المنبر الآتي.

وقبل كلِّ شيء، لنضع في قائمة تضرّعاتنا الشكرَ الصادق.

وفي المرتبة الثانية، الاعترافَ بخطايانا وانسحاقَ نفوسنا بإحساسٍ صادق.

ليس للجسد عدوٌّ ألدّ، ولا ضررٌ أفتك، من هذين الأمرين...

للقديس يوحنا الذهبي الفم

كان **القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم**، في عظاته، يشرح الكتابَ المقدّسَ شرحًا متواترًا، سواء العهدَ القديم أم العهدَ الجديد.

وكان التعليمُ المرتبطُ بهذه العظات يُعطى في الكنيسة، غالبًا في ساعاتِ ما بعد الظهر، حيث كان يشرح، وبنظامٍ متتابع، أحدَ نصوصِ الكتابِ المقدّس، مرتكزًا على موضوعٍ مركزيّ واحد.

وكان أحيانًا يغيّر المنهجيّة، فيعالج موضوعًا رأى أنّه يحتاج إلى مواجهةٍ ومعالجة، ولو لم يكن مرتبطًا ارتباطًا مباشرًا بالموضوع الأساسي.

ونجد مثالًا واضحًا على ذلك في الشرح الذي قدّمه على إنجيل متّى، في عظته الرابعة والأربعين. فالموضوع الذي شغله في خاتمة العظة، والذي لم يكن مرتبطًا ارتباطًا مباشرًا بما سبق، هو موضوع «**التَّرَف**» (أي التنعُّم أو الاستغراق في اللذّة). ويجدر بنا أن نتابع النصّ نفسه، لأنّه يمكن وصفه بأنّه لاذع في لهجته، وربّما شديدُ الراهنية، إذ إنّه، رغم قِدَمه، ما زال حيًّا، فاعلًا، وصادمًا لواقعِنا المعاصر.

لا تتعجّب إن كان قد سمّى «**التَّرَف**» **شوكًا**. فأنت تجهل ذلك لأنّك مخمورٌ بالهوى. أمّا الذين هم أصحّاء، فيعلمون أنّ الشَّرَه والانحلال يَطعنَان أكثر من الشوك، ويُنهكان النفس أكثر من الهمّ، ويُحدِثان آلامًا أشدّ، في الجسد كما في النفس.

لأنّ الإنسان لا يتألّم من الهمّ بقدر ما يتألّم من الوفرة. فحين تعتري الإنسان الأرق، والتثاؤب، وثِقَل الرأس، وآلام الأحشاء، فاعلم أنّ كلّ هذه الأمور أشدّ سوءًا من شوكٍ كثير. وكما أنّ الشوك، إذا جُمِع، يُدمي الأيدي التي تمسكه، كذلك فإنّ الشَّرَه والانحلال يُخرِّبان القدمين واليدين والرأس والعينين، بل وببساطة جميع الأعضاء. إنّها، يابسةٌ وعقيمةٌ كالشوك، تُسبِّب حزنًا وبؤسًا أعظم، وأشدّ إيلامًا وأكثر فتكًا.

إنّها تجلب شيخوخةً مبكّرة، وتُبلِّد الحواس، وتُعتم الفكر، وتُشوِّه العقل الذي كان كالموسى الحادّ، وتُرخي الجسد وتجعله مترهّلًا، حتّى إنّ مستودع القاذورات يغدو أغنى، وأقدر على جمع أكوامٍ من الشرور، وحمل أثقالٍ أعظم **بفعل الامتلاء المفرِط**. وبسببها، **تكثر الجثث وتتوالى السقوطات، وتتكاثف حوادث الغرق**.

فلماذا إذًا، قل لي، تُسَمِّن الجسد؟ أهل نحتفظ به لنقدّمه ذبيحة؟ أم لنضعه على مائدة؟ الدواجن نعم، تُسَمَّنها بحقّ – بل في الحقيقة ولا حتى تلك بحقّ، لأنّها حين تسمن تصبح غير صالحة لغذاءٍ صحيّ [...]

لا شيء هو أشدُّ عداوةً للجسد، ولا أبلغ ضررًا له، **من الشَّرَه والانحلال** [...]

﴿[...]: تشير إلى حذفٍ مقصودٍ من النصّ الأصلي، لا يؤثّر في المعنى العام للاقتباس.﴾

حتّى بائعو الخمر لا يسمحون لزبائنهم أن يشربوا أكثر من الحدّ المعتاد، لئلّا ينفجروا. أمّا الشَّرِهون والسكّيرون إلى الطعام، فلا ينالون ولا هذه الحماية لبطنهم، بل على العكس، يحرصون على ملئها حتّى الآذان، وحتّى الأنوف، وحتّى الحلق! إنّهم يملأون كلّ شيء، مُحدِثين ضيقًا مزدوجًا: في الروح، وفي الكيان الحيّ.

أفلأجل هذا أُعطي لك الحلق، لكي تملأه حتّى فمك الأعلى بخمرٍ فاسد، وبكلّ ضربٍ آخر من الفساد؟ كلا، ليس لهذا يا إنسان، بل أوّلًا لكي تسبّح الله، وترفع الصلوات المقدّسة، ولكي تُسدي إلى القريبين منك النصائح التي تعود عليهم بالمنفعة.

أمّا أنت، فكأنّك قد أُعطي لك الحلق لأجل هذا بالذات، فلا تتركه يستريح ولو قليلًا، بل في كلّ حياتك تُخضعه لهذه العبوديّة الشرّيرة.

كأنّ إنسانًا أخذ قيثارةً ذات أوتارٍ ذهبيّة، مضبوطةً ضبطًا حسنًا، وبدل أن يعزف بها لحنًا متناغمًا، راح يطمرها بكثرةٍ من الزبل والطين. هكذا يفعل هؤلاء أيضًا.

ولم أقل إنّ الطعام هو زِبل، بل التَّرَف وتلك الحماقة الكثيرة. لأنّ ما يزيد على الضروري ليس طعامًا، بل هو دمارٌ فحسب. فالبطن، في ذاتها، خُلِقت فقط لاستقبال الطعام، أمّا الفم والحلق واللسان، فقد خُلِقت أيضًا لأمورٍ أخرى أشدّ ضرورة.

بل إنّ البطن نفسها لم تُخلَق فقط لاستقبال الطعام، بل لاستقباله باعتدال. وهذا تُعلِنُه لنا صارخةً بصوتٍ مدوٍّ، وبألف طريقة، حين نُثقِلها بهذه الشَّرَه.

ولا يقتصر الأمر على أنّها تصرخ بصوتٍ مدوٍّ، بل إنّها، إذ تجد نفسها في موقف دفاع عن الظلم الواقع عليها، تطالب لأجلنا بأقصى عقوبة. فأوّل ما يُعاقَب هما القدمان اللتان تحملاننا وتسوقاننا إلى تلك الولائم الشرّيرة، ثمّ اليدان اللتان خدمتاها، إذ نقلتا هذا الكمّ وذلك النوع من الأطعمة.

كثيرون دمَّروا أيضًا هذا الفم، والعينين، والرأس.

وكما أنّ العبد، عندما تُعطى له أوامر تتجاوز قدرته، يفقد صوابه ويشتم مرارًا الذي أعطاها له، هكذا أيضًا هذه الشهوة، مع تلك الأعضاء، تُدمِّر وتُفسِد بالضرورة، وفي كثير من الأحيان، الدماغَ نفسه.

لقد دبَّر الله هذه الأمور أيضًا بحكمةٍ صالحة، بحيث ينشأ عن عدم الاعتدال هذا القدر من الأذى، لكي تتعلّم أن تضع حدًّا وضبطًا، حتّى إن لم تعش بالفضيلة بإرادتك، فتتعلّم على الأقل – رغمًا عن إرادتك – أن تلتزم بالاعتدال، خوفًا من هذا الفساد العظيم.

فإذ نعرف هذه الأمور، فلنتَجَنَّبِ اللذّة، ولنحرص على الالتزام بالاعتدال، لكي نتمتّع بصحّةٍ جسديّة، ونُحرِّر النفس أيضًا من كلّ مرض، ونبلغ الخيرات العتيدة، بنعمة **ربّنا يسوع المسيح** ومحبّته للبشر، الذي له المجد دائمًا، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الدهور. آمين.

كما أنّ أخطرَ أمراضِ الجسدِ هو المرضُ الخفيُّ المجهولُ لصاحبه، كذلك أخطرُ رذائلِ النفسِ **الكبرياءُ**.

لأنها بقدر ما هي مدمِّرة، هي في الوقت نفسه خفيّة عن المريض. ولا سيّما أنّ كثيرين من أهل العالم لا يوبّخهم ضميرهم على كونهم متكبّرين، بل إنهم في الحقيقة يسكرون بالكبرياء، إلى حدّ أنّهم يجعلونها زينةً وإكليلًا لهم. ولذلك يوبّخهم النبي إشعياء (٢٨:١) قائلًا: «ويلٌ لإكليل الكبرياء... السُّكارى بلا خمر».

إنَّ كبرياءَ العقلِ أخطرُ بكثيرٍ من كبرياءِ الإرادة.

أمّا كبرياءُ إرادةِ الإنسان، فبما أنّها تكون ظاهرةً لعقله، يمكن أن تُشفَى في وقتٍ ما بسهولة.

أمّا عقلُ ذاك الذي يملك رأيًا ثابتًا بأنَّ حكمه أفضلُ من حكم الآخرين، فمِمَّن سيُشفَى؟ وكيف يستطيع أن يخضعَ لحُكم الآخرين، وهو لا يراه صالحًا بقدر حكمه هو؟

لذلك ينبغي أن تُقاوِم بسرعةٍ وبحزمٍ شديدٍ كبرياءَ العقلِ الخطيرة، قبل أن تنفذ إلى نُخاع عظامك.

الكبرياءُ هي رغبةٌ غيرُ منضبطةٍ في تفوّق الإنسان، بها يُقَيِّمُ نفسَه أكثرَ ممّا يستحقّ في الواقع، ويُريدُ أن يُعامله الآخرون ويحسبوه على هذا الأساس.

لذلك فإنَّ الإنسانَ المتكبِّر لا يُقيم وزنًا لأحدٍ غيرِ نفسه. يجعلُ ذاتَه مركزًا في جميع شؤونه، كما تجعلُ العنكبوتُ نفسَها مركزًا في نسيج شبكتها. وكما أنّها تنسجُ خيوطَ الشبكةِ وذاتُها في المركز، هكذا أيضًا يفكِّرُ المتكبِّرُ ويعملُ جاعلًا نفسَه محورًا لكلّ شيء.

يعاملُ الأدنى منه كما لو كانوا **حيوانات**. ويتعاملُ مع من هم أعلى منه كأنّهم **عبيد**. ويتصرفُ مع أقاربه كأنّه لم يعرفهم قطّ. ومع سائرِ مواطنيه كأنّهم غرباء...

كلّما كانت فكرتُنا عن ذواتِنا أعظمَ، وكلّما بالغنا في تكريم أنفسِنا، ازددنا اندفاعًا إلى إدانة الآخرين واحتقارهم، ظانّين أنّنا بعيدون عن تلك النقائص والعيوب التي نتصوّر أنّهم هم واقعون فيها.

وحين يرى **الشيطان** في داخلنا مثلَ هذه النزعةِ الشريرة، يُبقينا ساهرين، لكي نُراقب عيوبَ الآخرين ونفحصها ونُضخّمها.

يُصابُ المتكبِّرُ بما يُصابُ به طائر الحَمَامُ الذي يجلسُ في الشمس ويفرحُ بنقائه وتنوّع ريشه، وفجأةً يهجمُ عليه الصقرُ من فوقه فيختطفه.

إنَّ مَن يفتخرُ بفضائلِه يُختَطَفُ فجأةً من الصقرِ الروحي، **أي إبليس**. لذلك فإنَّ خلاصَ الإنسانِ هو في آنٍ واحدٍ سهلٌ وصعب.

لأنَّ الإنسانَ في لحظةٍ واحدةٍ يصعدُ إلى الفردوسِ بالتواضع، وفي لحظةٍ أخرى **يهبطُ إلى الجحيمِ بالكبرياء**.

القديس نيقوديموس الآثوسي

عيد ميلاد حقيقي

اذهب، أرجوك يا بُنيّ، إلى كاهنٍ لتَعترف. لتتنفّس روحك.

ولتتناول جسد المسيح، فتعيش عيد ميلادٍ حقيقيًّا.

– ماذا أقول له؟ أخجل.

–ماذا تقول له؟

–لا أعرف.

–افتح قلبك.

ها، أتدري ماذا أقول له أنا؟

أقول له: عن أنانيّتي وحبّي لذاتي. عن كسلي وقساوة قلبي. عن غضبي ومشاجراتي مع أولادي وزوجتي. أقول له عن تلك المرّات التي أتكاسل فيها عن الذهاب إلى الكنيسة. وتلك الأخرى التي أرى فيها شحّاذًا فأعرض عنه. كيف أجد صعوبة في مسامحة الذين يسيئون إليّ، وكيف أنّني كثيرًا ما أنحرف فأعلّق وأدين الآخرين. وكيف بدل أن أكون شاكرًا على الخيرات التي يمنحني إيّاها الله، أتذمّر. وكيف بدل أن يكون فكري وقلبي عند الله، أتعلّق بأمور هذا العالم.

وأيضًا في المال، والملابس، وكرة القدم، والهاتف المحمول، والسيارة. وفي المكانة الاجتماعية والمعرفة الدنيوية.

أقول له إنني كثيرًا ما آكل كأن لا غدَ هناك، وإنني أتكلم قائلًا أمورًا تافهة أو تجرح الآخرين. وإنني لا أملك صبرًا، وأريد أن تسير الأمور كلّها كما أُخطّط لها. وإنني أحبّ بعض الناس، وآخرين لا أريد حتى أن أكلّمهم. وإنني في داخلي أشعر بأنني أفضل من إخوتي وأعتبرهم أدنى منّي.

هذا ما أقوله يا صديقي، وأشياء أخرى كثيرة لا تُقال.

الاعتراف صعب.

لكنّه مُحرِّر إلى حدٍّ عجيب.

– وهل الكاهن لا يغضب، ولا يوبّخك، ولا يرفضك؟

– لا. الكاهن حضنٌ مفتوح.

محبّة وصلاة.

مرشد في طريق السماء،

ومُصالِح بيني وبين الله.

وبعدها تحلّق النفس.

نقيّة وخفيفة تلتقي بالمسيح، وتصير واحدًا معه.

ابتهاج وفرح!

هوشعنا في الأعالي، المسيح وُلِد!

هكذا تكون أعياد الميلاد يا صديقي.

هيّا، لا تتأخّر.

اسعَ أنت أيضًا إلى تبييض النفس.

يا يسوعُ المسيحُ، تَوِّبني فأتوب

وَلَمّا قَسا قَلبي وَضاقَت مَذاهِبي ... جَعَلتُ الرَجا مِنّي لِعَفوِكَ سُلَّما

تَعـاظَمَني ذَنبي فَلَمّا قَرَنتُـهُ ... بِعَفوِكَ رَبّي كـانَ عَفوُكَ أَعظَما

فَما زِلتَ ذا عَفوٍ عَنِ الذَنبِ لَم تَزَل ... تَجُـــودُ وَتَعفُـــو مِنَّـةً وَتَكَرُّما

الإصحاح السادس:

تابع لعظة السادسة عشر: (١كو٦:٧-١١)

٤) «فَالآنَ فِيكُمْ عَيْبٌ مُطْلَقًا، لأَنَّ عِنْدَكُمْ مُحَاكَمَاتٍ بَعْضِكُمْ مَعَ بَعْضٍ» (١كو ٦: ٧).

أرأيتَ إلى أيّ مدى احتفظَ بهذا الأمر، وكيف أدانه في الوقت المناسب؟ هكذا يقول: إنّي لم أسأل بعدُ مَن الظالم ومَن المظلوم، لأنّ ما يُعتَبَر عنصرًا ثقيلًا على النفس، هو أن يكون لهم قضاةٌ مختلفون، سواء لهذا أو لذلك، وبحسب هذه الرؤية، فإنّ الواحد ليس أفضل على الإطلاق من الآخر. فإن كان بحقٍّ أم بدون حقٍّ يقفون أمام قضاةٍ مختلفين؛ فهذا موضوعٌ آخر. إذًا لا تقل: من الذي ظلمني؟ لأنّي أُدينك بالفعل، **بسبب لجوئك إلى المحكمة**، لكي تحصل على حقّك. وإذا كان المرء يجرّ على نفسه إدانةً حيث إنّه لا يستطيع أن يصبر على الظلم، فكم **يكون مستحقًّا لإدانةٍ أشدّ، حين يظلم نفسه** بلجوئه إلى **محاكم الأمم؟**

«لِمَاذَا لاَ تُظْلَمُونَ بِالْحَرِيِّ؟ لِمَاذَا لاَ تُسْلَبُونَ بِالْحَرِيِّ؟ لكِنْ أَنْتُمْ تَظْلِمُونَ وَتَسْلُبُونَ، وَذلِكَ لِلإِخْوَةِ!» (١كو ٦:٧-٨)

مرّةً أخرى فإنّ الإدانة مزدوجة، وربّما هي ثلاثيّة، ورباعيّة.

أولًا إنّكم لا تعرفون أن تصبروا عندما تُظلمون.

ثانيًا إنكم تَظْلِمون.

ثالثًا إنكم تلجأون في حلّ نزاعاتكم هذه إلى **غير المؤمنين.**

رابعًا إنكم تَظْلِمون إخوتكم؛ لأنكم لا تحكمون على الخطايا بنفس المعايير عندما يرتكبها بالمصادفة عضوٌ من أعضاء الكنيسة. وهذا ما تجرؤون على فعله، نتيجة **حماقتكم الكبيرة.** ففي الحالة الأولى يتمّ التعدّي فقط على المسألة التي تُطرَح، أمّا في الحالة الثانية فيتمّ التعدّي على الشخص نفسه.

إذا بعدما جعلهم يُخزَون بحسب المنطق العام، وبشكل خاص حين يُذكّرهم بالأجر السماوي، ختم النصيحة بوعيد، جاعلًا كلامه ووجهته أكثر شدّة، قائلًا:

«أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ؟ لاَ تَضِلُّوا: لاَ زُنَاةٌ وَلاَ عَبَدَةُ أَوْثَانٍ وَلاَ فَاسِقُونَ وَلاَ مَأْبُونُونَ وَلاَ مُضَاجِعُو ذُكُورٍ، وَلاَ سَارِقُونَ وَلاَ طَمَّاعُونَ وَلاَ سِكِّيرُونَ وَلاَ شَتَّامُونَ وَلاَ خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ.» (١كو ٦: ٩-١٠).

ولِمَ تذكر لنا هذا العددَ الكبيرَ من الناسِ الخطاة، ونحن نتحدّث عن **الطمّاعين؟**. فَيُجيب: نعم، لكنني أقول هذا، لا لأنني أخلط الأمور في حديثي، بل لأنني أتقدّم نحو وضع أُسُس لتلك الأمور. فكما يتحدّث عن **الزنا**، يذكّر بكلّ الخطاة في الوقت نفسه. هكذا هنا أيضًا، عندما يذكّر **بالطماع**، فهو يشير إلى جميع الخطاة، جاعلًا كلَّ من لهم ضمير حيّ، أن يكونوا حريصين على أنفسهم وعلى التحكّم فيها في مواجهة الخطايا التي يرتكبونها.

فمن خلال الإشارة إلى خطايا الآخرين – وإذا سمع المرء بصورة دائمة عن العقاب الذي ينتظرهم – تسهُل ممارسة بعض التداريب، عندما يلتزم الشخص **بالجهاد ضدّ خطاياه هو**، أي إنّه يذكر هذا الوعيد، لا لأنّه يعرف أنّ هؤلاء قد ارتكبوا هذه الخطايا، ولا لأنّه يرغب في توبيخهم، بل لأنّه هو الذي لديه القدرة على أن يجذب انتباه المستمع إليه. ولا يتركه في فتوره، وعندما لا يوجّه إليه حديثًا مباشرًا ويتكلّم بلا تحديد، فإنّه إنّما ينخس ضميره بطريقة غير مباشرة.

وقوله: «**لاَ تَضِلُّوا**»، يُشير هنا إلى بعض الذين يتكلّمون بأمور غير صحيحة، وهو ما يفعله كثيرون اليوم، إذ يقولون: إنّ الله محبّ للبشر وصالح، لذلك فهو لا يعاقب على الزلّات بقسوة. وبناءً على ذلك فلا داعي للخوف، لأنّه لن يعاقب أحدًا قطّ على أيّ شيء.

ولهذا يقول **الرسول بولس**: «**لاَ تَضِلُّوا**»، لأنّ أسوأ أنواع الضلال والخداع هو أن يرجو الإنسان نوال الأمور العظيمة، ثمّ ينال عكس ذلك. وهذا ما **يثير الشكّ** في الله، في اللحظة التي لا ينبغي فيها لأحد أن يفكّر هكذا تجاه الإنسان.

ولذلك يقول النبي داود متحدّثًا باسم الله: «ظَنَنْتَ أَنِّي مِثْلُكَ. أُوَبِّخُكَ، وَأَصُفُّ خَطَايَاكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ.» (مز ٥٠: ٢١). والرسول بولس هنا، يضع المُدان أوّلًا، إذ يقول: «لا تضلّوا، فلا يرث ملكوتَ الله زناةٌ، ولا فاسقون، ولا مأبونون، ولا سكّيرون».

وقد اهتمّ كثيرون بهذا الجزء من الإصحاح، وعبّروا عن رأيهم بأنّ الرسول بولس كان قاسيًا جدًّا في هذا الموضع، لأنّه يضع السكير وعابد الأوثان مع الفاسق والزاني والمأبون. لكنّ هذه الجرائم ليست متساوية، فكيف تكون العقوبات متساوية؟

غير أنّ خطايا مثل السُكر وعبادة الأوثان أو النميمة ليست هيّنة على الإطلاق، لأنّ المسيح حكم على الذي دعا أخاه «أحمق» بأنّه يستوجب الجحيم. ثمّ إنّ هذه الخطيّة كثيرًا ما تتسبّب بالموت، ولا سيّما في ما يتعلّق بشعب إسرائيل، إذ ارتكبوا خطايا مروّعة، بسبب **السُكر**.

ومنذ البداية، لم يتكلّم عن الجحيم، بل **عن عدم** دخول ملكوت الله.

فإذا كان **السكير وعابد الأوثان لن** يدخلا ملكوت الله، وإن كان في الجحيم درجات وفروق، فليس هذا هو الوقت المناسب لفحص مثل هذه الأمور، لأنّ هذا ليس موضوعنا الآن.

«وَهكَذَا كَانَ أُنَاسٌ مِنْكُمْ. لكِنِ اغْتَسَلْتُمْ، بَلْ تَقَدَّسْتُمْ» (١ كو ٦: ١١).

تكلّم عن الخزي الكبير الذي أصابهم، وتوجّه إليهم قائلًا: أفهمتم من أية شرور عظيمة أنقذنا الله، وكيف جعلنا بمحبّته الكبيرة للبشر، نتذوق ونختبر من الحقيقة، وهي أنّه لم يخلّصنا فقط من الشرور، بل بالأكثر أحسن إلينا، لأنّه نقّانا وطهّرنا. وهل هذا فقط هو ما حدث؟ لا على الإطلاق، بل قدّسنا وبررنا أيضًا. وكونه يخلّصنا من الخطايا والشرور، فهذا وحده يمثّل عطيّة كبيرة وعظيمة. ولكنّه الآن قدّسك بصلاحٍ لا حدود له. وهذا قد حدث «باسم الربّ يسوع»، وليس باسمٍ آخر، بل «وبروح إلهنا».

يتبع في العدد القادم

تجنُّبُ اليأس – القديس يوحنا الذهبي الفم

إن كانت لك خطايا، فلا تيأس؛ فهذا ما لا أكفّ عن قوله لكم على الدوام. وإن كنتَ تخطئ كلَّ يوم، فتُبْ كلَّ يوم.

لأنَّ التوبةَ هي الدواءُ ضدّ الخطايا؛ وهي الجرأةُ المقدَّسةُ أمام الله، وهي سلاحٌ ضدّ **الشيطان**، وهي السيفُ الذي يقطع رأسه، وهي رجاءُ الخلاص، وهي إبطالُ اليأس ونقضُه.

إنَّ التوبةَ تفتح لنا السماء، وتُدخِلُنا إلى الفردوس. لذلك (أقول لك): **أأنتَ خاطئ؟ فلا تيأس.**

وربّما تفكّر قائلًا: لقد سمعتُ أشياءَ كثيرةً في الكنيسة ولم أعمل بها؛ فكيف أدخل مرّةً أخرى، وكيف أعود فأسمع من جديد؟

بل لأجل هذا السبب عينه يجب أن تدخل، لأنك لم تعمل بما سمعته. فلتسمعه من جديد، إذن، ولتعمل به. لا تيأس بسبب تقصيرك السابق، بل ادخل الكنيسة، اسمع من جديد، وابدأ بالحفظ من جديد.

إن كان الطبيب قد وضع لك دواءً على جرحك، ومع ذلك لم يبرأ، أفلا يضعه لك مرّةً أخرى في اليوم التالي؟ فلا تخجل، إذن، من أن تعود مرّةً أخرى إلى الكنيسة.

اخجلْ حين ترتكبُ الخطيئة؛ فالخطيئةُ جُرحٌ وشَرْخٌ، أمّا التوبةُ فهي الدواء. وإن كنتَ قد صِرْتَ مُنهَكًا، فاقدَ نضارةِ النفسِ بسببها، فجَدِّدْ نفسَكَ بالتوبة.

وهل يمكن، قد يقول أحدهم، أن أخلُص إذا تبتُ؟ نعم، وبالتأكيد يمكن. لكنّي قضيتُ حياتي كلّها في الخطايا، فإن تبتُ، هل أجد الخلاص؟ نعم، وبالتأكيد.

ومن أين يتّضح هذا؟ من محبّةِ ربّك للبشر. لِأَنَّ مَحَبَّةَ سَيِّدِكَ للبشر لا حدَّ لها ولا تُقَاس.

ولا يمكن أن تُفَسَّر بكلماتٍ صلاحُه الأبويّ. تأمَّل شرارةً سقطت في البحر: هل يمكن أن تثبت هناك، أو أن تُرى؟ فكما أنّ العلاقة بين شرارةٍ والبحر، هكذا هي علاقةُ خطيئتك، بالمقارنة مع محبّةِ اللهِ للبشر.

بل أقول بالأحرى: ليست إلى هذا الحدّ، بل هي أعظم من ذلك بكثير. فالبَحر، وإن كان لا متناهيًا، له حدٌّ ومِقياسٌ وحدود. أمّا محبّةُ اللهِ للبشر فهي غيرُ محدودة. لذلك أكرّر عليك: **أأنتَ خاطئ؟ فلا تيأس.**

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح
المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
IBAN: IL480127260000000111122